جامعة ديالى
كلية التربية الاساسية
قسم التاريخ

مكتب وضاح
لخدمات الطباعة والاستنساخ
بعقوبة - مقابل كلية التربية الاساسية

الخليج العربي

المرحلة الثانية

م.د. حسن حاول ناصر

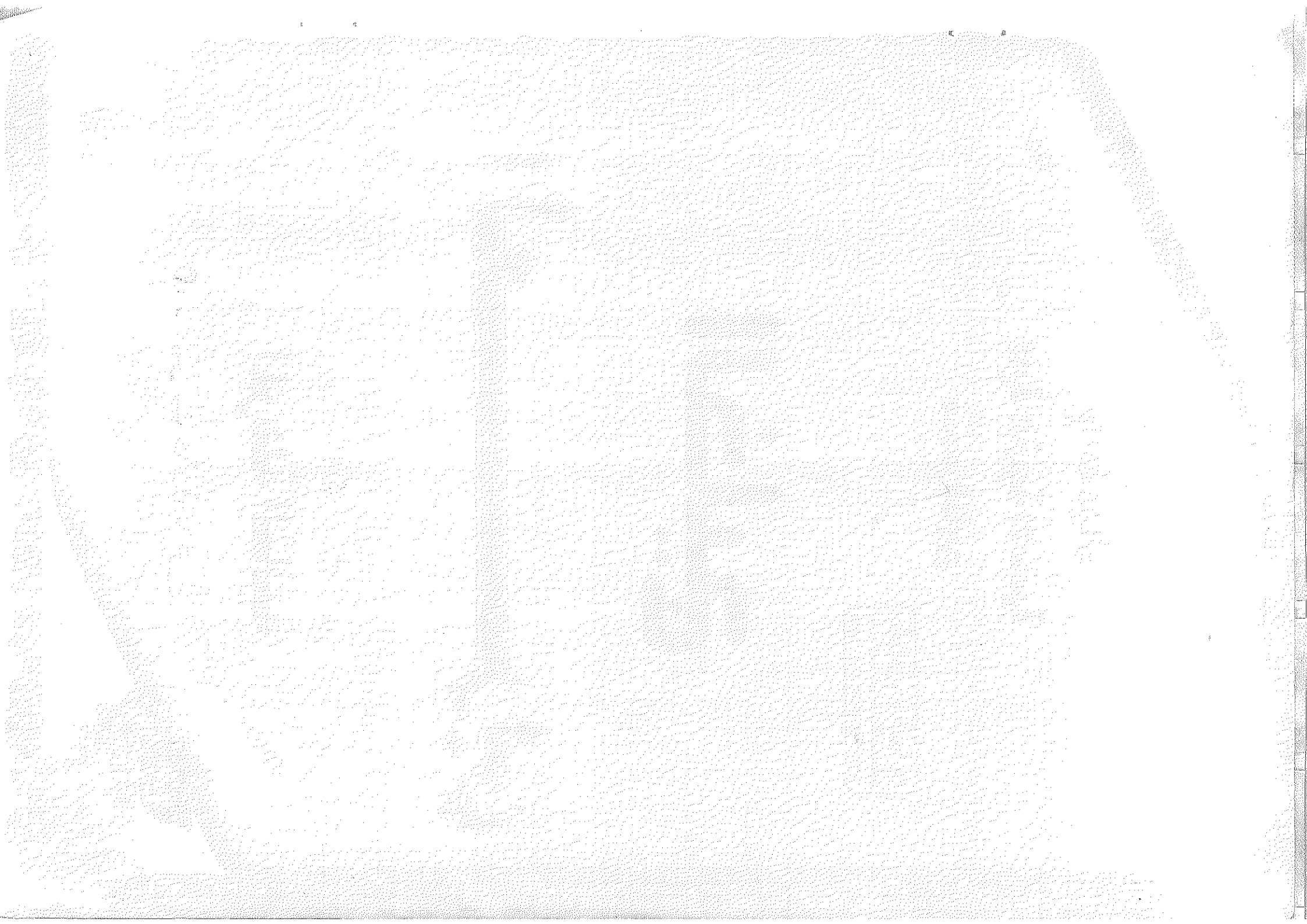

الغزو الاوربي للخليج العربي

اولا : الغزو البرتغالـــي :

كانت التجارة بين الشرق والغرب ، منذ اقدم العصور ، تسلك احد طريقين ، أما طريق البحر الاحمر ومصر ، أو طريق الخليج العربي والعراق والشام ، وكلا الطريقين تحت سيطرة العرب • وكانت المشاكل والخلافات السياسية احيانا تغلق احدهما أو كليهما ، وحين يحدث هذا فأن نفائس الشرق التي تصدر الى اوربا تنقطع ، الا ما يسلك منها طريقا وعرا غير مأمون عبر اسيا الصغرى • يضاف الى ذلك أن اسعار تلك البضائع كانت عالية جدا ليس بأستطاعة اغلب الاوربيين اقتنائها لكثرة الرسوم الكمركية واجور الشحن والتفريغ لمرات عديدة كما أن سقوط القسطنطينية بأيدى العثمانيين سنة ١٤٥٣ جعل هذا الطريق تحت رحمة العثمانيين(٨) •

اصبح البحث عن طريق جديد مهمة ملحة للدول الاوربية ، وكانت البرتغال هي الدولة الاوربية التي كرست اكبر قدر من جهودها للبحث عن هذا الطريق مدفوعة بعوامل اقتصادية ودينية ، ساعدها على ذلك استقرار احوالها السياسية وتشجيع ملوكها للرحالة ، فقد اهتم هنرى الملاح بشؤون البحر والابحار ، وانشأ مدرسة بحرية مكنت البرتغاليين من ادخال تحسينات في بناء السفن ، واستخدام البوصلة البحرية • وكان هدف الملاح كما يقال أن يهزم الاسلام « تماما ونهائيا » (٩) • ولابد من القول بأن الوجود العربي في بلاد الاندلس قد ساعد الاسبان والبرتغاليين على الاطلاع على المعارف العلمية العربية والاهتمام بدراستها ، فقرأوا رحلة ابن بطوطة الذى زار الهند والصين وافريقيا ووصف ثراء التجار الواسع حتى أن الواحد منهم ربما امتلك المركب العظيم بجميع ما فيه • وصححت المعلومات العلمية العربية الافكار الخرافية السائدة في اوربا

خلال العصور الوسطى ومنها أن المياه الاستوائيـة في درجـة الغليان وان الشياطين والعفاريت يسكنون البحار والمحيطات(١٠) ٠

بدأ البرتغاليون بالاتجاه نحو السواحل الشمالية والشمالية الشرقية للقارة الافريقية فقد وصل هنرى الملاح الى سبتـه عام ١٤١٥ ، ووصـل اخرون الى الرأس الاخضر ٠ وقام بارتليمور برحلته في عام ١٤٨٧ حـول سواحل افريقيا الغربية بقصد الوصول الى الهند ٠ اما فاسكودى كاما فأن لرحلته اهمية خاصة لانه اول من وصل الى الشرق عن طريق رأس الرجاء الصالح وقد وضع تحت تصرف دى كاما جميع المعلومات التي تم التوصل اليها وعد كل من وقع عليه الاختيار مجندا في خدمة ملك البرتغال٠ وصحب دى كاما معه بعض من له معرفة باللغة العربية أو اللغات الافريقية . وعين لكل سفينة مرشدا ومساعد مرشد ورئيسا للبحارة ومشرفا وعشرين بحارا ممتازا وعشرة من العاديين وثمانية من قاذفي القنابـل واربعة رجـال للابواق وضباطا لفض المنازعات وأمين حسابات وحلاق،يعمل جراحا فـي نفس الوقت وترجمانا وقسا من العمال المهرة وعشرة من الخدم ، والحـق بسفن الحملة الثلاث سفينة صغيرة واربعة للتموين لما يكفي الحملة لمـدة ثلاث سنوات ٠

سارت حملة دى كاما بمحاذاة السواحل الغربية ووصلت الى النهايـة الجنوبية للقارة الافريقية (رأس الزوابع) الذى سماها الرجاء الصالح ثم استدار شمالا الى السواحل الشرقية فوصل موزنبيق ومالندى في ١٤٩٨ ٠ وقد شاهد البرتغاليون سفنا عربية ادهشتهم صناعتها وحجمها ، فألواحها غير مسمرة بمسامير وملاحوها يحملون معهم البوصلة البحريـة والمزاول والخرائط الجغرافية، فأراد دى كاماالاستفادة من الخبرة العربية للوصول الى الهند فكان لقاؤه مع احمد بن ماجد ، واقناعه بقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الى الهند(١١) ٠

استفاد دى كاما من ابن ماجد ، ومن خبرة العرب العملية . فقد ذكر المؤرخ البرتغالي « باروش » في كتابة « اسيا البرتغالية » أن دى كاما التقى في مالندى بمسلم يدعى « المعلم كانا« ووجد لديه عددا كبيرا من الخرائط والالات • وقد ظهر مما ذكره قطب الدين النهروالـي في كتابـة « البرق اليماني في الفتح العثماني »الذى يرجع تاريخه الى الفترة القريبة من مجيء دى كاما أن المعلم كانا لم يكن الا احمد بن ماجد وهو اكبر واهـم ملاحـي العرب في كل العصور ، وله مصنفات مهمة في الجغرافية الملاحيـة واسمـه الكامل شهاب الدين احمد بن ماجد السعدى النجدى . من مواليد جلفـار (رأس الخيمة حاليا) على الساحل الغربي للخليج العربي • واثار ابـن ماجد كثيرة يبلغ عدد الموجود منها في الوقت الحاضر (أربعين) مولفا ومعظمها قد تمت صياغته شعرا ، غير أن واحدا مـن مصنفاتـه الكبرى قـد كتب نثرا ، ويحمل عنوان « كتاب الفوايد في اصول علم البحر والقواعد » وفيه يتحدث عن الملاحة بجانبها النظرى والعملي ، وعن البحر الاحمر والخليج العربي والمحيط الهندى والملايو • وقـد وصف هـذا الكتاب بأنـه ذروة التاليف الفلكي لملاحي عصره •

ومهما يكن من أمر فقد وصـل دى كامـا الى الهنـد في (٢٣ مايس ١٤٩٨) فكان ذلك نذيرا للتجارة العربية بالاضمحـلال ، اذا كان الطلب الاول للبرتغاليين من حاكم كاليكوت عام ١٥٠٠ أن يحرم التجار العـرب من الاقامة داخل حدود مملكته • ولتحقيق هذه السياسة اسس البرتغاليون مركزا تجاريا في كوا Goa على الساحل الغربي للهند والذى اصبح منذ سنة ١٥٠٩ قاعدتهم الرئيسية في شبه القارة واندفعوا اكثر نحـو الشرق الى جزر التوابل (اندونيسيا والملايو) ليؤسسوا لمائـة السنـة التاليـة ؛ احتكارا لتجارة التوابل مع اوربا قائما على المحطة التجارية الكبرى التي أسسوها في مالقا •

الاحتلال البرتغالي لمنطقة الخليج العربي

كانت النتيجة السريعة والمحققة لرحلة دي كاما ثورة في تجارة اوربا ومجدا عظيما للبرتغال الذى اصبح ملوكه يطلقون على انفسهم « سادة الفتح والملاحة والتجارة في الهند والحبشة وجزيرة العرب(١٢) وفارس » وبعد وصول البرتغاليين مباشرة الى الهند صمموا على السيطرة على كل التجارة التي كانت في السابق بأيدى العرب ، فأسسوا عدة محطات تجارية ، واصبحت البضائع تنقل بالطريق البحرى بواسطة السفن فقط . وكان هذا الطريق على الرغم من وجود بعض المصاعب فيه ، الا انه كان طريقا رخيصا للتجارة ، ومنها توزع البضائع الى الاسواق العالمية حيث ترسل البضائع الى المدن الاوربية فينيسيا ومرسيليا وبرشلونة وجنوا بواسطة النقل البحرى الرخيص .

بدأ الصراع بين العرب والبرتغاليين حول التجارة مع الهند ، ولم تكن العلاقات بين الطرفين ودية قبل هذا التاريخ ، حيث كانت تعود الى فترة حكم العرب للاندلس والصراع مع البرتغاليين ، ولم يمض وقت طويل على انتهاء الحكم العربي فضلا عن ذلك فان سقوط القسطنطينية بأيدى المسلمين في عام ١٤٥٣ ، واخراج العرب المسلمين من اسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر ، زاد من العداء والكراهية وبدأ البرتغاليون في عام ١٥٠٠ بمهاجمة السفن العربية فاحرقوا عشر سفن مصرية عند الموانىء الهندية(١٣) . وفي السنة التالية ، صمم ملك البرتغال على منع العرب من المتاجرة بالتوابل وقام باول عمل حربي ضد العرب سنة ١٥٠٢ عندما حاولوا منع اية سفينة عربية من دخول البحر الاحمر ، وفي سنة ١٥٠٣ ارسل ملك البرتغال اسطولا جديدا لاغلاق مدخل البحر الاحمر بوجه السفن العربية ، وفي سنة ١٥٠٥ وصل البرتغاليون الى جدة وميناء مكة

المقدسة عند العرب والمسلمين واصبحوا بذلك يهددون ليس التجارة العربية فحسب وانما السيادة العربية .

أرسل ملك البرتغال في سنة ١٥٠٦ اسطولا جديدا الى الشرق لتعزيز الوجود البرتغالي في السواحل الهندية . وكان من ضمن قادة الاسطول الفونسو البوكيرك الذى كلف بـ « سد منافذ التجارة التي يستخدمها المسلمون » « البحر الاحمر والخليج العربي » فبدأ البوكيرك نشاطه باحتلال جزيرة سوقطرة ، والواقعة في مواجهة الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية وفي منتصف الطريق تماما بين الخليج العربي والبحر الاحمر على الرغم من أن الجزيرة كانت جرداء لاتحتوى على مظاهر الحياة ، واراد اتخاذها قاعدة لاغلاق مضيق باب المندب والنزول في عدن ، فتمكن من محاصرة باب المندب تماما ، ومنع التجار العرب من دخول الهند ، الا انهم فشلوا في احتلال عدن . وبذلك استطاعوا احتكار التجارة والقضاء على الرخاء الاقتصادى العربي وقطع ارزاق الالاف من العرب .

يعد اغلاق البحر الاحمر بوجه التجارة العربية توجه البرتغاليون بقيادة الفرنسو البوكيرك في سنة ١٥٠٧ للسيطرة على منطقة الخليج العربي . وقد بدأ البوكيرك عمله بوضع الخطط لاحتلال جزيرة هرمز في مدخل الخليج العربي ، ايمانا منه باهمية هذه الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجي الكبير . بدأ البوكيرك حملة على الخليج العربي ومعه سفنا كبيرة ذات اسلحة نارية فتاكة لم يكن لسكان المنطقة قبل بها . فقام بمهاجمة السفن العربية في الموانيء العربية فاحرق في رأس الحد ثلاثين أو اربعين قاربا من قوارب الصيد ، ثم توجه الى قلهات ومنها الى قريات التي استعد اهلها للدفاع عنها ، وحدثت مقاومة عربية بطولية ضد الغزاة ، فقام البرتغاليون بقتل كل من يقع في ايديهم من اهل المدينة دون تمييز بين النساء والاطفال

والرجال ، فكانت مجزرة رهيبة قام فيها البرتغاليون بقطع اذان وانوف أهل البلدة تشفيا وانطلقوا في عمليات سلب ونهب ، وبعد ذلك شرع البوكيرك بمهاجمة مسقط ، وهي ذات موقع سوقي خطير يتحكم في مدخل الخليج العربي ووصفت بأنها « مدينة كبيرة كثيفة السكان وهي المنطقة الحرة الرئيسية لمملكة هرمز ، ولابد أن تمر فيها جميع السفن التي تزاول الملاحة في هذه المناطق ... ومسقط سوق قديم للخيول والبلح ، كما انها مدينة أنيقة جدا ومنازلها جميلة . وتحصل على موادها التموينية من الحنطة والشعير والذرة والبلح من داخليتها وهي جزء من مملكة هرمز(١٤) ... وقد واجه البرتغاليون مقاومة عنيفة من اهل مسقط فعمد البوكيرك الى ضرب المدينة بالمدافع واحراق مبانيها وجوامعها وجميع السفن التي كانت راسية في مينائها . ويذكر مايلز أن مساعدى البوكيرك قاموا بدور كبير في عمليات القتل والاعتداء على الحرمات وكان البوكيرك اكثرهم قسوة وهمجية واجراما، فقد اطلق العنان لجنوده بعد أن جمعهم في ساحة المدينة ليذبحوا كل مايصادفونه من المواطنين نساءا واطفالا أو شيوخا دون تمييز ، ثم بعد ذلك امر الجنود بتدمير المدينة وحرقها(١٥) . وبعد خراب مسقط مضى البوكيرك في غزوته التخريبية على طول الساحل العماني . وقد هدد حاكم صحار التابع لمشيخة هرمز ، البوكيرك بأنه سيلقى مقاومة عربية أشد مما اظهرته المدن العمانية السابقة ، وقد حشد اكثر من(٧) ألاف مقاتل فاضطر البوكيرك الى قبول اعلان خضوع حاكم صحار للبرتغال واكتفى منه برفع العلم البرتغالي على حصن المدينة . وتوجه البوكيرك الى خورفكان التي قاوم سكانها العرب الغزاة البرتغاليين ، فهوجمت المدينة ودمرت واحرقت، وقد جدعت انوف واذان الاسرى . ومن خورفكان توجه البوكيرك الى رأس

مسندم ومنه مباشرة الى هرمز . واستهدف البوكيرك من أسرافه في هـذه الاعمال الوحشية اشاعة الرعب في نفوس سكان هرمز التي اتجـه اليهـا وضرب عليها حصارا محكما(١٦) .

احتـلال هرمـز

كانت هرمز مشيخه عربية كبيـرة ، استطاعت أن تبسط سلطانهـا السياسي على اجزاء متراميه من شواطيء الخليج العربي وجزره ، فشملت عمان حتى القطيف شمالا ، ودخلت جزر البحرين في تبعيتها ، وضمت قسما كبيرا « من الساحل الشرقي ، اضافة الى عمقهـا الكبير داخـل الجزيـرة العربية وحتى مشارف عدن . وتعد مشيخة هرمز انذاك من اعظم الكيانات التي شهدتها منطقة الخليج العربي ثراءا واكثرها ازدهارا واوفرها سكنا ويبلغ عدد سكانها اربعين الف نسمة كانوا يعيشون على مستوى عال من الرفاهية ومرجع ذلك الازدهار الى اتساع دائرة النشاط التجارى الـذى كان يمارسه سكان هرمز ،التي غدت حلقة مهمه في نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب . واصبحت مثلا يضرب على الثراء واطلق عليها « لؤلـؤة الشرق .

استعدت هرمز لصد الغزو البرتغالي ، وتذكر المصادر البرتغالية أن اربعمائه سفينة اشتركت في الدفاع عن الجزيـرة ، وكان من بينها ستـون سفينة كبيرة(١٧)ولاشك أن هذين الرقمين يقومان على المبالغة، ولكنهما يدلان على المركز الذى كانت تشغله هذه المشيخة في شرقي الجزيرة العربية . وقد تجمعت قوات من الفرسان علـى الساحل ، وكـان ملك هرمز صبيـا « صغير السن يسمى سيف الدين ، ويحكـم نيابة عنـه مستشار الشيـخ عطـار ، وازاء استمـرار القصف المدفعـي البرتغالـي ، لم يجـد سيف الديـن

بدأ من طلب المفاوضة ، واسفرت المفاوضات التي جرت في جو ارهابي كان نتيجتها أن اقام البوكيرك اثناءالمفاوضات يطعن الشيخ عطار مستشار الملك فجأة « عندما كان يتحدث معه فارداه قتيلا » . واسفرت المفاوضات عن الصلح بشروط قاسية منها : أن يظل سيف الدين في منصبه حاكما « على هرمز تحت السيادة البرتغالية ، وان يدفع للملك البرتغال جزية سنوية ، وان يسمح للبرتغاليين باقامة منشآت عسكرية في بلاده .

ولهذا الغرض استولى البوكيرك على قطعة من ارض الجزيرة لاقامة حصن عليها ، وتقرر في الصلح عدم فرض ضرائب على السلع التي يجلبها البرتغاليون من هرمز والموانيء التابعة لها ونصت شروط الصلح ايضا « على عدم السماح لسفن الاهالي بممارسة نشاطها في الخليج الا بتصريح خاص صدر من البرتغاليين(١٨) .

باحتلال هرمز فرض البرتغاليون سيطرتهم على المنطقة ، بشكل لا يقبل الشك فلم يعد باستطاعة اية سفينة المتاجرة مع الخليج دون أن تحمل جوازا خاصا « بذلك وفي عام ١٥٠٩ عين البوكيرك بمنصب نائب الملك في الهند ، خلفا لفرانشيكو الميدا أول من تولى هذا المنصب عام ١٥٠٥ وتوفي ١٥١٥ في كوا، وفي السنة نفسها هاجم البرتغاليون البحرين ونزلوا في مكان قرب المنامة . استفاد البرتغاليون من موقع جزيرة هرمز الاستراتيجي المهم ، وجعلوا منها محورا للفعاليات البرتغالية وازدهرت تجارتهم مع موانيء الخليج الاخرى لكن تعسف البرتغاليين وجسامة القيود والضرائب التي كانوا يفرضونها على الجزيرة ادت الى تدهور تجارتها وانخفاضها بشكل مستمر طيلة القرن السادس عشر . وعلى الرغم من استمرار ملوك جزيرة هرمز فان سلطتهم اصبحت اسمية حيث اجبروا على تأديه يمين الولاء للبرتغاليين ، ولم يسمح لهم بمغادرة الجزيرة دون موافقة مسبقة من السلطات البرتغالية (١٩) .

الثورات العربية ضد البرتغاليين :

لم يعد يذاع نبأ وفاة السفاح البرتغالي البوكيرك حتى شرع العرب سكان الخليج العربي لتحريك ثورة تحت قيادة حكام هرمز على الحكم البرتغالي ، بحيث امتدت الثورة الى جميع القواعد والحصون البرتغالية في منطقة الخليج العربي ، فقد كان الحكم البرتغالي حكما صارما اتسم بالجبروت والنزعة التخريبية والتعسف واستنزاف اموال الاهليين . فتوصل عرب الخليج بقيادة ملك هرمز الى وضع خطة محكمة لاشعال نار الثورة الموحدة ضد الوجود البرتغالي . ففي (٣٠ تشرين الثاني ١٥٢١) قام رئيس التجار بمهاجمة السفينتين الموجودتين في ميناء هرمز ، واشعل النار على سطح احدهما فكان ذلك ايذانا ببدء الثورة ، فتمكن الاهالي من مهاجمة البرتغاليين ، وحاصروهم في القلعة . أما في بقية المناطق فقد تعرض البرتغاليون الى هجمات منظمة ، وشهدت الثورة نجاحا عظيما وتعرض البرتغاليون الى خسائر فادحة ، ولم ينج البرتغاليون في قلعات الذين عرفوا بالثورة قبل اعلانها واتخذوا للامر عدته .

نقل البرتغاليون تعزيزات عسكرية الى جزيرة هرمز التي اتخذها الثوار مقرا لقيادة الثورة ،واعملوا القتل في اهاليها واحرقوا جثتهم وقضوا على الثورة بعد سلسلة من الاعمال الوحشية . وكان لهذا الاسلوب الوحشي في قمع الثورة اصداؤه في المناطق الاخرى من الخليج العربي وكان من نتائج اخفاق الثورة أن ألغى البرتغاليون الادارة العربية في حكم هرمز ، واسرفوا اسرافا بعيدا في التنكيل بالاهالي ، فاخذوا يغادرونها الى جزيرة قشم المجاورة ، فتعقبهم البرتغاليون واضطر الاهالي الى أن يتفرقوا فرادى بين موانىء الخليج العربي(٢٠) .

وعلى الرغم من سياسة الاضطهاد التي مارسها البرتغاليون ، فقد عاد العرب في هرمز الى الثورة ثانية في عام ١٥٢٦ وشاركهم حكام مسقط وقلهات ويرجع مايلز اسباب الثورة الى سياسة الاضطهاد والظلم والتسلط على يد (ديجورى مليو) قائد الحامية البرتغالية في هرمز وقد وصلت انباء الثورة الى نائب الملك في البرتغال في (٢١ شباط ١٥٢٦) فأرسل حملة عسكرية فورا ، مؤلفة من خمس سفن للقضاء على الثورة وانتهز القائد البرتغالي الفرصة فقام بتعزيز الوجود العسكرى البرتغالي في عمان وانشاء عدد من التكنات وشن هجوم على ظفار لغرض تدميرها وهكذا استطاع البرتغاليون القضاء على الثورة . ومع ذلك استمرت روح المقاومة والثورة حتى أن ملك البرتغال امر عام ١٥٢٩ بترحيل كافة القوى والجماعات المناوئه للبرتغاليين من جزيرة هرمز .

وثارت البحرين في عام ١٥٢٩ فارسل البرتغاليون حملة لكنها فشلت نتيجة لنقص استعداداتها وكان لهذا الفشل انعكاسات سيئه على هيبة البرتغاليين ونفوذهم في المنطقة وثارت القطيف في عام ١٥٥٠ واستمر العرب في ثوراتهم حتى تمكنوا في النهاية من القضاء على البرتغاليين(١٧) .

وفي الوقت الذى تحمل العرب اعباء المقاومة للوجود البرتغالي ، فقد رحب الفرس ومنذ البداية بالغزاة البرتغاليين وعقدوا معهم معاهدة تضمنت اعتراف الصفويين باستيلاء البرتغاليين على هرمز ، وقيام تحالف عسكرى بين فارس والبرتغال في الخليج العربي ظاهره ضد الدولة العثمانية وحقيقته ضد الوجود العربي ويتضح ذلك من الرسالة التي بعثها البوكيرك الى شاه فارس ، والتي اعلن فيها تأييده الشديد لاطماع الفرس في الخليج العربي بقوله :

« واذا اردت أن تنقض على بلاد العرب أوأن تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الاحمر امام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة(٢٢) ·

وهكذا وضع البرتغاليون سفنهم الحربية واسلحتهم النارية في خدمة الاطماع التوسعية الفارسية في الخليج العربي ، ولم ينقرط عقد هذا التحالف الا بعد أن ضعف البرتغاليون وظهرت قوى اوربية ومنافسة فتحول الفرس الى جانب القوى الجديدة ·

السيطرة العثمانية

أما العثمانيون ، فقد وصلوا الى منطقة الخليج العربي ، بعد فترة من السيطرة البرتغالية . وكان العثمانيون قد احتلوا بغداد في عام ١٥٣٤ والبصرة في عام ١٥٤٦ وخضع مشايخ البحرين والقطيف للسيطرة العثمانية ، وبذلك استطاع العثمانيون بسط نفوذهم على الجزء الشمالي من الخليج ويبدأ الصراع الحربي بين الدولة العثمانية والبرتغاليين ، وبخاصة بعد التأييد الذى قدمه البرتغاليون لثوار البصرة ، قاعدة الاسطول العثماني في الخليج العربي وكانت اهم الحملات العثمانية حملة بيري باشا او بيرى ريس (١٥٥٠ ـ ١٥٥٢) التي تحركت من السويس الى مسقط واستولت على القلعة البرتغالية فيها واسرت قائد حاميتها ، ثم تقدمت الحملة الى جزيرة هرمز ، فضربت عليها حصارا محكما وكادت تسقط في ايدى العثمانيين لولا أن بيرى باشا قائد الحملة امر برفع الحصار عنها فجأة واتجه بسفنه الى البصرة ·

ورأى السلطان أن تصرف بيرى باشا كان خيانة عظمى فأمر باعدامه ومصادره امواله ولم يكن بمقدور الدولة العثمانية أن ترسل حملات بحرية اخرى الى شرقي الجزيرة العربية أو الهند للتصدى لمراكز البرتغاليين لان السلاح البحرى العثماني كان قد توقف عن النمو منذ منتصف القرن السادس عشر ·

ولابد من القول أن البرتغاليين استطاعوا الاحتفاظ بقوتهم في الخليج العربي حتى نهاية القرن السادس عشر . وفي بداية القرن السابع عشر حيث حدثت تطورات مهمة ادت الى اضعاف قوة البرتغاليين وتلاشي سيطرتهم على الخليج وهي : -

١) توحيد العرش البرتغالي والعرش الاسباني ١٥٨٠ - ١٦٤٠ .
٢) تزايد قوة عرب الخليج العربي وخاصة عمان
٣) ظهور منافسين جدد هم الانكليز والهولنديون .
٤) تحول الموقف الشعبي عن البرتغاليين .
٥) كراهية السكان للبرتغاليين .
٦) غلبة الروتين والتعقيدات الادارية على الجهود البرتغالية في البحار الشرقية(٢٤) .

ثانيا الوجود الهولندي في الخليج العربي :

كانت هولندا تابعة للتاج الاسباني . الا أن الهولنديين تمردوا على اسبانيا واعلنوا الانفصال عنها ، فاقفلت اسواق البرتغال بوجه الهولنديين سنة ١٥٩٤ لان البرتغال واسبانيا كانا تحت عرش واحد الامر الذي دفع الهولنديين الى الاتجاه نحو الشرق . وكانت أول شركة للايجار مع الشرق هي شركة فانفير Vanver التي ارسلت أول رحلة لها بقيادة هوتمان Houtman في عام ١٥٩٥ ووصلت الرحلة الى السواحل الشرقية من الهند ، وحققت انتصارا يعقدها أول اتفاق هولندي مع ملك بنتام فتحت فيه جزر ارخبيل الهند الشرقية للتجارة الهولندية . وأدى هذا النجاح الى قيام شركات هولندية متعددة ومتنافسة للاتجار مع البلاد الشرقية . وقد وصل الى المياه الشرقية(١٣) اسطولا هولنديا في

الفترة بين ١٥٩٨ ـ ١٦٠٢ الامر الذى دفع الهولنديين الى توحيد عدد من شركاتهم الصغيرة في جمعية الاتجار مع البلاد البعيدة التي تطورت الى شركة الهند الشرقية الهولندية في عام ١٦٠٢(٢٥) ٠

بدأ الصراع والتنافس بين الهولنديين والبرتغاليين بعد وصول السفن الهولندية الى المياه الشرقية وعمل الهولنديون خلال العشرين سنة الاولى من نشاطهم على اضعاف البرتغاليين في مياه افريقيا والهند ، في الوقت الذى كان الانكليز يعملون على اضعافهم ايضا في مياه الخليج العربي ، ولذلك فقد كانت العلاقات بين الهولنديين والانكليز في حوض الخليج العربي حسنة من اجل القضاء على العدو المشترك ٠

احرز الهولنديون انتصارات مهمة في الربع الاول من القرن السابع عشر فضلا عما اوقعوه من ضرر كبير للبرتغاليين في افريقيا والهند ، فقد اصبح للهولنديين في بلاد الهند سبعة وثلاثون مركزا وعشرون حصنا وقلعة ٠ ولم تمضي عشرون عاما على تأسيس الهولنديين شركة الهند الشرقية حتى اصبحت لهم الارجحية في بحار الهند ٠ ففي سنة ١٦١٤ كان هناك مالا يقل عن سبعة وعشرين سفينة حربية كبيرة ٠ وكان معدل ارباح الاسهم سنويا خلال المدة ١٦٠٥ ـ ١٦١٤ زهاء ٣١٪ على الرغم من مصروفات التسليح الباهضة ٠

رحب الانكليز والفرس في بادىء الامر بمجيء السفن الهولندية الى مياه الخليج العربي لما توقعوه من مؤازرة القادم الجديد ٠ وقد حصل الهولنديون على فرمان من الشاه عباس سنة ١٦٢٤ أسس بموجبة مركز هولندى في بندر عباس ، الى جانب المركز الانكليزى ٠ وكان الانكليز والهولنديون يتعاونون احيانا في حرب البرتغاليين، كما حدث في معركة سنة ١٦٢٥ البحرية بالقرب من بندر عباس ، حيث نجح اسطول انكليزى ـ

هولندى مؤلف من ثماني سفن من دحر اسطول برتغالي من ثماني سفن ايضا ٠

تعاظمت السيطرة الهولندية وشهد اواسط القرن السابع عشر انتقال السيادة في مياه الشرق من البرتغال الى هولندا ، ويرجع النجاح الذى اصابه الهولنديون الى ما اشتهروا به من تخفيض اسعار البيع ، واستخدام القوة العسكرية لانتزاع الامتيازات الضرورية ،ففي عام ١٦٤٥ هاجموا جزيرة قشم لكنهم فشلوا ٠ وقد عمد الشاه الفارسي عباس الثاني (١٦٤١ ـ ١٦٦٦) الى منحهم المزيد من التسهيلات التجارية ، فاعطاهم حق تصدير الحرير من سائر الموانيء التابعة لسلطته معفيا من الضرائب ، الامر الذى أدى الى نجاح الهولنديين في توسيع نفوذهم التجارى في فارس وامتداده الى العراق ٠ ففي سنة ١٦٥٠ وصلت عشر سفن هولندية الى ميناء بندر عباس وافرغت حمولتها من السلع الهولندية ، وقد استورد الهولنديون في تلك السنة كميات كبيرة من الحرير الفارسي بلغت اثمانها مليون ونصف مليون باون ٠ وفي السنة التالية وصلت الى الميناء نفسه احدى عشرة سفينة هولندية تحمل سلعا تقدر قيمتها بمائه الف باون ، الامر الذى ادخل الفزع في نفوس رجال شركة الهند الشرقية الانكليزية(٢٦) ازداد التنافس بين الانكليز والهولنديين في السيطرة على اسواق فارس وحوض الخليج العربي ، ولم يبق للتجارة الانكليزية مجال يذكر في تلك الاسواق ٠ وبقيت السيادة الهولندية ماينا هز العشرين عاما مابين (١٦٥٠ ـ ١٦٧٠) وساعد على ذلك الامور الاتية : ـ

١ ـ أن اصحاب الشركة الهولندية كانوا في نفس الوقت هم حكام البلاد ، ومن ثم صاروا اكثر تقبلا للنفقات الحربية لفرض الامتيازات بالقوة ٠

٢ - تمتعت الشركة الهولندية باحتكار تام بينما تعرضت شركة الهند الشرقية الانكليزية لكثير من النقد ، وكانت الحكومة تسمح من وقت لاخر لجماعات أو افراد بممارسة التجارة في المحيط الهندى ، اى أن احتكارها للتجارة لم يكن تاما(٢٧) .

أدت الاحداث على المسرح الاوربي الى انتقال السيطرة الاستعمارية في الشرق من هولندا الى انكلترا ، فقد انشغلت هولندا بالحرب[1] مع فرنسا زمن لويس الرابع عشر ، فاستفاد الانكليز من ذلك فائدة كبيرة ، اذ لم يعد في وسع هولندا أن تعنى العناية اللازمة بسيطرتها فيما وراء البحار ، ففقدت[2] الشركة الهولندية التأييد المادى والمعنوى الذى كانت الحكومة الهولندية تقدمه لها خلال القرن السابع عشر وكان اهم عامل في ازدهار نفوذها ثم حدث بعد ذلك بزمن يسير أن اتحدت المملكتان انكلترا[3] وهولندا ، فاندثرت المنافسة الانكليزية الهولندية ، وحل محلها تعاون وثيق ضد لويس الرابع عشر .

ظهرت بوادر الضعف على الهولنديين في اواسط القرن الثامن عشر ، وبدات سيطرتهم تتلاشى في الخليج العربي ، واخذوا يتراجعون امام هجمات العرب[4] الذين شرعوا منذ سنة ١٦٩٥ ، بمهاجمة السفن الهولندية بعد أن ادركوا بأن الهولنديين يناصرون الفرس ويمكنونهم من توطيد اقدامهم في بعض مناطق الخليج العربي . وكان سقوط اخر مراكز الهولنديين ، وهو حصن في جزيرة خرج[5] على ايدى العرب سنة ١٧٦٦ ، كما سياتي الحديث عنه في الفصل القادم ، وعندئذ انتهت حركات هولندا في الخليج العربي .

ثالثا : الغزو الانكليزي للخليج العربي

جرت عدة محاولات انكليزية للاتصال مع الشرق برا ، وكان انطوني جنكنسون Jenkinson رائد هذه المحاولات في عام ١٥٦١ . لكن محاولته لم تسفر عن امر ذي بال ،وبعده قام اربعة مغامرين هم : نيوبرى J.Newbery ، ورالف فيتش R.Fitch ووليام ديدس W. deeds وجيمس ستورى J. Story بمحاولة للوصول الى الشرق عن طريق طرابلس الشام التي وصلوها في سنة ١٥٨٣ ، ثم غادروها برا الى بغداد والبصرة ومنها الى الخليج العربي حتى هرمز حيث اسرهم البرتغاليون ، وافلت نيوبرى من ايدى البرتغاليين ووصل الى لندن حيث نشر في سنة (١٥٩١) تقريرا عن خيرات الشرق التي لا حصر لها من توابل وعقاقير وانسجة حريرية ولؤلؤ البحرين ، فأسال هذا التقرير لعاب الانكليز الذين ارسلوا أقدم بعثة تجارية انكليزية الى الهند عن طريق البحر مباشرة مكونة من ثلاث سفن في سنة ١٥٩١ ، وفي سنة ١٥٩٩ أسست شركة اتحاد التجار المغامرين بهدف الاتجار مع الشرق . وقد وافقت الملكة اليزابيث على عقد تأسيس الشركة في (٣١ كانون الاول ١٦٠٠) والتي اصبحت تسمى شركة الهند الشرقية الانكليزية(٢٨) .

ارسلت الشركة بعثتها التجارية الاولى في سنة ١٦٠١ ، بعد عام من تأسيسها الى الهند فكانت بعثة رابحة ، وكان من جملة بضائعها المستوردة مازرته مليون باون من الفلفل، ثم بعد ذلك بسنتين ابحرت بعثتها الثانية . وفي هذا الصدد يروى لنا بروس Bruce مؤرخ شركة الهند الشرقية ، أن الربح الصافي لتينك البعثتين بلغ ٩٥٪ فلا غرابة أن تكون تلك التجارة الرابحة قد دفعت بشركة الهند الشرقية الى الاستمرار في سبيلها على الرغم من شدة الاخطار وفي مقدمتها الاخطار الناجمة عن منافسة البرتغال في

ذلك السبيل • وقد استطاعت الشركة في سنة ١٦٠٨ من تأسيس قاعدة لها في سورات Surat على الساحل الغربي من الهند القريبة من مستعمرة كوا Goa البرتغالية(٢٩) •

وكان من حسن الصدف للانكليز أن بداية ظهورهم في الخليج حدثت في وقت اشتداد النزاع بين الشاه الفارسي والبرتغال ، ففي سنة ١٦١٤ ارسلت شركة الهند الشرقية رسولين من سورات الى اصفهان لاجل تمهيد سبل المتاجرة مع فارس ، وبمساعدة السير روبرت شيرلي ، الذى وصل في سنة ١٥٩٨ ، وعملا في بلاط الشاه • استطاع الرسولان الحصول على ثلاثة فرامين (مرسوم) متماثلة، وهي وثائق رسمية موجهة من قبل الشاه الى مختلف حكامه لاسداء المساعدة لجميع السفن الانكليزية في الموانىء الفارسية ، ثم بعد ذلك بسنتين ، اى في سنة ١٦١٦ ، استطاع بعض تجار شركة الهند الشرقية الحصول على فرمان اخر فيه عهود بتقديم المساعدة وضمان لحرية التجارة • وكان هدف الشركة بيع الاصواف الانكليزية في فارس مقابل الحصول على الحرير(٣٠)

وتقدمت سفن التجارة الانكليزية من سورات الى جسك عند مدخل الخليج العربي وذلك سنة ١٦١٨ • واخذت التجارة الانكليزية في جسك بالازدهار ، بفضل الاتفاق المعقود مع الشاه الذى اعفى البضائع الانكليزية من الضرائب الكمركية • وقد اعقب نجاح هذه الخطوة الاولى ، خطوات ناجحة الى موانىء الخليج الاخرى • وفي (١٩ أذار ١٦٢٠) ارسل الملك جيمس الاول كتابا الى الشاه عباس يشكره فيه على ما اعطاه للتجار الانكليز من امتيازات ويطلب منه السماح لشركة الهند الشرقية بتأسيس مصنع للحرير في ميناء جسك • وبهذا سمح الشاه بعد ذلك بزمن يسير • عندما اخذت العلاقات تتوثق بين الفرس والانكليز لتوحيد الجهود ضد البرتغاليين ولرغبة الشاه والفرس عموما في اضعاف القوى العربية(٣١)•

أصبح البرتغاليون يواجهون خصما من نوع اخر يختلف عن الافارقة والاسيويين الضعاف التسليح. فلقد ظهر الانكليز والهولنديون على المسرح لينازعوا البرتغال في السيطرة على البحار وليناقسوهم تجاريا ، ثم يقوموا في النهاية بتمزيق اوصال امبراطوريتهم في الشرق • وقد حدثت اشتباكات كثيرة ودامية بين هذه القوى الثلاث غير أن القوة البرتغالية كانت قد بدأت بالفعل تتقلص ولم تعد قادرة على التصدى للتنافس غير المتكافىء • حدث الصدام الاول بين الانكليز والبرتغاليين سنة ١٦٢٠ في معركة جسك البحرية التي انتصر فيها الانكليز ، ففي ذلك العام كانت قد ابحرت اربع سفن انكليزية الى سورات في الهند ، ثم بعد ذلك اتجهت اثنتان من تلك السفن الى ميناء جسك فحاول البرتغاليون الهنود تسلل الانكليز الى مراكز احتكاراتهم ، واحباط وخنق التجارة الانكليزية الناشئة ، وقد نشبت المعركة بين الاسطولين الانكليزى والبرتغالي في يوم (١٦ كانون الاول ١٦٢٠) واستمرت تسع ساعات بدون توقف ، غير أن الاسطول البرتغالي اضطر الى الانسحاب تحت ستار الظلام • ونتيجة لتلك المعركة اصبح الانكليز المسيطرين على جسك •

بعد الانتصارات الاولية الانكليزية ، اخذ الاسطول الانكليزى القيام بعمليات تهدف الى عرقلة النشاط التجارى للبرتغال والقيام بمناوشات ضدهم • وفي سنة ١٦٢٢ حدث الاشتباك المسلح الحاسم في هرمز ، حيث كانت هرمز هدفا للتجار الانكليز ، لانها كانت سوقا تجارية زاخرة بالمال والثروة ، وكانت البضائع تتوارد عليها من الصين وجزائر الهند الشرقية وسيام والهند ، وتستبدل تلك البضائع بالحرير والخيول ولاليء البحرين، واسفرت معركة هرمز عن اندحار البرتغاليين على الرغم من دفاعهم الشديد ، وهرب من نجا من حاميتهم نحو الجنوب ، واستولى الانكليز على الجزيرة في نشوة الظفر ، وانتهت بذلك ملحمة من الملاحم الشهيرة في تاريخ الاستعمار(٣٢) •

لقد كان سقوط هرمز ضربة قاضية للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، لكنه لم يضع حدا نهائيا له ؛ وتعد سنة ١٦٢٢ بداية العلاقات السياسية لانكلترا مع الخليج العربي ، عندما أخذت شركة الهند الشرقية على عاتقها تخصيص سفينتين حربيتين بصورة مستمرة لهم في بندر عباس، الذى بني في محل القرية الصغيرة جمبرون (بندر عباس) على الساحل الشرقي ، حيث أنشأوا وكالة للحرير وحصل تجارهم على اذن من الشاه بشراء الحرير ونقله جنوبا الى اصفهان دون دفع رسوم كمركية على ذلك . وتبع ذلك توطد العلاقات الانكليزية ـ الفارسية ، ولم تبد شركة الهند الشرقية الانكليزية اية معارضة للتغلغل الفارسي في الخليج العربي جنوبا وغربا ، ويعني ذلك أن السياسة الانكليزية هي التي مكنت الفرس تأكيد اطماعهم على سواحل الخليج العربي خلفا للسيطرة البرتغالية . ولعل هذا الموقف يرجع الى حرص الانكليز لتحقيق فوائد اقتصادية وبالفعل فان الصداقة الانكليزية الفارسية ساعدت الانكليز الى حد كبير الى ممارسة احتكارات اقتصادية في فارس ، وخاصة في مقاطعاتها الجنوبية ، وساعدت ايضا على القضاء على منافسة الهولنديين .

وصل الانكليز الى البصرة لاول مرة سنة ١٦٣٥ ولم تلبث البصرة أن اصبحت من أهم مراكز التعامل لشركة الهند الشرقية الانكليزية ، فقد حصلت الشركة في سنة ١٦٣٩ على موافقة الوالي العثماني بتأسيس مركز تجارى لها في البصرة وبالفعل انشأ أول مركز تجارى انكليزى في عام ١٦٤٣ وادراكا من الجهات الانكليزية لاهمية البصرة نقلت اليها في سنة ١٧٦٣ مقر شركتها في بندر عباس ورفعت درجته الى وكالة . وفي شهر آب ١٧٦٤ استحصلت على موافقة السلطات العثمانية في الاستانة على اعتبار وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة بصفة قنصل انكليزى فيها . ولجأت

الشركة الى اسلوب الاغراء المادى لكسب الولاة العثمانيين ، فقدمت الهدايا
اليهم في البصرة وبغداد وكانت صلتها بوالي بغداد تتم بالاتصال المباشر
أو تكليف وكيل خاص اذ لم يكن هناك مقيم ثابت .

حصل تطور خطير في وضع الشركة الانكليزية في اواخر القرن
السابع عشر غير من طابعها التجارى ، فبعد النجاحات التي حققتها
الشركة في الشرق ، اصدر جارلس الثاني مرسوما ملكيا في سنة ١٦٦١
فوض الشركة بموجبه « اعلان الحرب أو السلم مع اى امير غير مسيحي ،
وان تعقد المعاهدات باسم التاج » وسلمت الحكومة الانكليزية جزيرة
بومباى الى الشركة في سنة ١٦٦٨ التي حصلت عليها بوصفها جزءا من
صفقة زواج جارلس الثاني من ابنة ملك البرتغال ، الامر الذى ادى
بالشركة الى تبني موقف سياسي ، اخذ يطغي بصورة متزايدة على الطابع
التجارى لنشاط الشركة (٣٣) .

اصبح وضع الانكليز في الخليج العربي على وجه الاجمال قويا ،
عدا المنافسة التي اخذ يبديها الفرنسيون خلال الفترة (١٧٤٠ـ ١٧٨٣).
وحقق الانكليز نصرا مهما بعقدهم اتفاقا مع سعدون ال نصر ، حاكم
بوشهر في (نيسان ١٧٦٣) يتضمن :

١ ـ اعفاء البضائع الانكليزية المصدرة أو المستوردة من الرسوم الكمركية .
٢ ـ فتح وكالة لشركة الهند الشرقية الانكليزية ، وعدم السماح لاى
شركة اوربية اقامة وكالة في بوشهر طالما بقيت الوكالة الانكليزية .
٣ ـ السماح للوكالة الانكليزية باقامة حرس خاص لحمايتها(٣٤) .

وبعد توقيع الاتفاق اصبحت بوشهر مركز للنفوذ الانكليزى في
منطقة الخليج العربي واتخذت بعد ذلك مقرا للمقيم العام الانكليزى
الذى ادار السياسة البريطانية حتى انتقاله الى البحرين عام ١٩٤٦ .

وبعد النجاحات التي حققها الانكليز ارسلوا بعثة من بومباى سنة ١٧٧ للقيام بمسح الخليج العربي ، وبعد ذلك بثلاث عشرة سنة اخذ لهمة على عاتقه احد ضباط بحرية الهند الانكليزية وهو الرئيس ماكلبور، وعلى يده مسح الخليج لاول مرة مسحا في الحقيقة مهما . ولهذا يمكن القول انه في اواخر القرن الثامن عشر ، أصبح للانكليز الارجحية في حوض الخليج العربي تجاريا وسياسيا .

رابعا ـ الغزو الفرنسي للخليج العربي :

بدأت اولى المحاولات الفرنسية للاتجار مع الشرق عام ١٦٠١ حين قام بعض المغامرين الفرنسيين بقيادة فرنسوا بيرارد دى لافال Deleval من ميناء سانت مالو St. Malo الى الشرق عبر طريق رأس الرجاء الصالح . وانتهت تلك الرحلة بارتطام السفينة الفرنسية بصخور ناتئة بالقرب من جزر المالاديف ، عند سواحل الهند الجنوبية . وفي عام ١٦٠٤ تأسست شركة الهند الشرقية ، ولكنها كانت مؤسسة هزيلة ما أن بدأت حتى قعدت عن العمل . وكانت الشركة اضعف من أن تفتح لفرنسا سياسة فعالة في بلاد الشرق .

تجدد النشاط الفرنسي في عهد الكاردينال ريشيليو سنة ١٦٢٦ عندما بعث رسولا الى فارس يدعى لويس ديشي Louis Des chayes لكنه لم يصل الى ابعد من القسطنطينية، وقضى على المشروع في المهد ، وفي عام ١٦٢٨ وصل راهبان فرنسيان الى بلاد فارس ولقيا الترحيب من شاه فارس . واعيد تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية من جديد سنة ١٦٤٢ ، ولم تحقق نجاحا يذكر . وحاول وزير المالية الفرنسي كولبير Colbert تنشيط الجهود الفرنسية ، فارسل بعثة الى فارس سنة

١٦٦٤ استطاعت أن تحصل من الشاه على اعفاء للتجار الفرنسيين من رسوم الكمارك والمكوس ولمدة ثلاث سنوات ، وحصلت على تسهيلات مماثلة لما كان قد حصل عليه التجار الانكليز والهولنديين من قبل . وبموجب تلك الامتيازات أسس الفرنسيون وكالتين احدهما في بندر عباس والاخرى في اصفهان ، ومع ذلك بقيت التجارة بين فرنسا على اضعف ما يكون حتى نهاية القرن السابع عشر(٣٥) .

وقد وجهت فرنسا اهتماما لمسقط والبصرة منذ وقت مبكر . ففي سنة ١٦٦٧ قدمت فارس مقترحات لفرنسا من اجل احتلال مسقط ، وهو امر كان يطمح اليه الفرنسيون بشدة واوضحت تلك المقترحات الفوائد التي تعود على فرنسا نتيجة لاحتلالها مسقط ، لكن تحقيق شيء من ذلك لم يتم . وحاولت فرنسا بدلا من ذلك الحصول في سنة ١٦٨٥ على اذن من سلطان عمان لتأسيس وكالة في مسقط لكنه رفض ذلك . أما البصرة فترجع اقدم صلة لفرنسا معها الى سنة ١٦٧٩ عندما اصبح رئيس الكرملية في البصرة ، وهو رجل ايطالي ، قنصلا فرنسيا في هذه المدينة وكانت دار الاقامة الفرنسية التي اسست في سنة ١٧٥٥ في البصرة قد اصبحت مؤسسة دائمية ، وعين لها قنصل فرنسي بعد ذلك بعشرين عاما . ويمكن القول اجمالا أن فرنسا لم تحض في الخليج العربي حتى نهاية القرن السابع عشر باكثر من ممارسة تجارية بسيطة ، وان دورها السياسي كان محدودا جدا في احداث الخليج . وكانت الصعوبة التي واجهت الفرنسيين هي المقاومة النشطة للانكليز والهولنديين .

وفي مطلع القرن الثامن عشر عادت فرنسا الى تنشيط فعاليتها الشرقية ، فتمكنت من تقوية مركزها في الهند ، وتعزيز مركزها التجارى في بوند شيرى . وعادت الى تعزيز علاقاتها مع الفرس ، فقد جرت في نهاية

عهد لويس الرابع عشر اتصالات مباشرة بين فارس وفرنسا . وارسل الشاه احد مبعوثيه الى باريس سنة ١٧٠٨ ، وكان الهدف من وراء ذلك التعاون بين البلدين ضد قوة عمان العربية النامية . وتوصل الطرفان في ايلول ١٧٠٨ الى عقد معاهدة تالفت من (٣١) مادة تضمنت تسهيلات واسعة للتجار الفرنسيين ، منها اعفاؤهم من الضرائب لمدة خمس سنوات . ونتيجة لتزايد نشاط عرب عمان البحرى في عهد سلطان بن سيف الثاني (١٧١١ ـ ١٧١٨) ولفشل الشاه في الحصول على المساعدة البحرية من الانكليز والهولنديين ، قرر الالتجاء الى فرنسا ، وعقد معاهدة جديدة معها جرى التصديق عليها في مايس ١٧٢٢ ، وتضمنت حلفا ضد العرب العمانيين ، مقابل اعفاء الفرنسيين من دفع رسوم الاستيراد والتصدير (٣٦) .

توقف النشاط الفرنسي مع الساحل الشرقي من الخليج العربي ، نتيجة الفوضى والاضطراب الذى ساد المنطقة بعد سقوط الصفويين وتصاعد نشاط القوى العربية في تلك المنطقة . فقام الفرنسيون باغلاق مركزهم التجارى في بندر عباس لكنهم اعادوا فتحة مرة اخرى سنة ١٧٤٠ في زمن نادر شاه واغلق بعد ثلاث سنوات .

واشتدت المنافسة خلال تلك الفترة بين الفرنسيين والانكليز ، وتعرض الانكليز الى ضربة قوية في اواخر سنة ١٧٥٩ على ايدى الفرنسيين ، حينما دمر مركزهم في بندر عباس . وتزايد النشاط الفرنسي خلال الفترة التي اعقبت حرب السنوات السبع (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣) وقاموا بالفعل بارسال مندوب الى كريم خان الزند ، الحاكم الفارسي ، سنة ١٧٦٦ للاتفاق معه من اجل احتلال جزيرة خرج العربية . وقبل قيام الثورة الفرنسية بعام واحد ، قررت الحكومة الفرنسية ، ضرورة انشاء قنصلية في مسقط ، وذلك لاهمية الميناء القصوى ولاتخاذ مسقط محطة لمراقبة النشاطات الانكليزية في الهند ، ومصدر تموين في حالة تجدد الحرب مع

انكلترا ، لكن قيام الثورة في سنة ١٧٨٩ اعاق تنفيذ ذلك الامر ، بل وادى الى اهماله .

وبعد الثورة الفرنسية حدث انعطاف في النشاط الفرنسي ، وبخاصة حينما نشبت الحرب الفرنسية ـ الانكليزية في سنة ١٧٩٣ ، فتزايدت رغبة فرنسا في توسيع مناطق نفوذها ، ووجهت الى الخليج العربي اهتماما خاصا ، حتى اخذت هجمات الفرنسيين تزداد شدة على السفن الانكليزية في ارجاء المحيط الهندى ، وكان من تعاظم غنائمهم انها غمرت أسواق عمان ، وظهر البعض منها للبيع ثانية في كلكتا ، محل تصديرها الاول .

البعثة الفرنسية القهيرة للعالمين الطبيعيين اولفييه Olivier وبورجير Burguiers الى الدوله العثمانية ومصر وفارس ، في خلال السنوات الاولى من عمر الجمهورية ، فاتحة لحقبة من النشاط الفرنسي الجاد في منطقة الخليج العربي على الرغم من أن البعثة لم تسفر عن نتيجة تذكر من الناحية السياسية غير أن المبعوثين انتهزا هذه الفرصة لتقديم اقتراحاتهما في المسائل التجارية والعسكرية . فقد نصح اوليفييه بعدم اتخاذ اى خطوة لاقامة حامية فرنسية في جزيرة خرج ، مشيرا الى أن مثل هذه الحامية لاتفيد شيئا لعزلتها ، وانما تصبح ضرورية فقط ، اذا نفذ مشروع غزو الهند(٣٧) .

وبحملة نابليون بونابرت على مصر ، التي نزلت في الاسكندرية في الاول من تموز ١٧٩٨ دخل التنافس الانكليزى الفرنسي في المحيط الهندى والخليج العربي طورا جديدا حيث دأبت فرنسا على ضرب انكلترا في الهند وجهدت انكلترا لتثبيت ارجحيتها في المنطقة ضد النفوذ الفرنسي حتى لاتضار مصالحها ونبهت الشركة الانكليزية في اواخر سنة ١٧٩٨ الى احتمال ظهور سفن فرنسية على سواحل الخليج العربي ، طلبت من الشاه الفارسي أن يقف معها ضد الفرنسيين بحجة انهم يعملون ضد النظام الملكي وضد

الاديان . ويبدو أن هذه الحجة قد صادفت قبولا لدى
عن استعداده لمساعدة الانكليز(٣٨) .

أما نابليون بونابرت فقد حرص على كسب بعض الحكام في المنطقة
ومنهم سلطان بن احمد سلطان عمان الذى ارسل له رسالة مؤرخة في
(٢٥ كانون الثاني ١٧٩٩) جاء فيها :-

« اكتب اليكم هذا الكتاب لابلغكم مالا شك في انكم قد علمتموه فعلا
وهو وصول الجيش الفرنسي الى مصر . ولما كنتم دائما اصدقاء لنا
فعليكم أن تقتنعوا برغبتي في حماية جميع سفن دولتكم، وعليكم أن تقوموا
بارسالها الى السويس حيث تجد حماية لتجارتها . بونابرت(٣٩) .

لم تصل رسالة بونابرت الى سلطان عمان لان الانكليز اعترضوا
سبيلها وضعف النشاط الفرنسي في الخليج العربي مؤقتا حين انتهت حملة
بونابرت على مصر الى فشل ذريع ، ولم تعد فرنسا قوة تخشاها حكومة
الهند أو تخاف خطرها في الخليج العربي .

هوامش التمهيد والفصل الثاني

١ ـ برزان ابراهيم التكريتي ، الصراع الدولي في منطقة الخليج العربي وتأثيره على اقطار الخليج العربي والمحيط الهندي ، (بغداد ـ ١٩٨١) ص ١٣ ، د . صبرى فارس الهيتي ، الخليج العربي ، دراسة في الجغرافية السياسة ، (بغداد ـ ١٩٧٨) ص ١٨ .

٢ ـ د . نزار عبد اللطيف الحديثي وآخرون ، الحدود الشرقية للوطن العربي (بغداد ـ ١٩٨١) ، ص ١٢ .

٣ ـ د . محمود علي الداود ، الخليج العربي والعمل العربي المشترك ، (بغداد ـ ١٩٨٠) ص ص ٢٥ ـ ٢٦ .

٤ ـ د . صبرى الهيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

٥ ـ د . نزار الحديثي ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

٦ ـ عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل العماني (بغداد ـ ١٩٧٨) ص ١٢ ، صبرى الهيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٦ ـ ٩١ .

٧ ـ الداود ، العمل العربي ، ص ٢٧ .

٨ ـ ج ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ١ ، (ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر ، (الدوحة ـ ١٩٦٧) ، ص ص ٣ ـ ٤ .

٩ ـ د . يسرى عبد الرزاق الجوهرى ، الكشوف الجغرافية ، (الاسكندرية ١٩٥٧) ، ص ١٢٨ ، عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٤ .

١٠ ــ حاو . ى . سونيا ، في طلب التوابل ، (ترجمة محمد عزيز رفعت) ، (القاهرة ــ ١٩٥٧) ، ص ص ٥٨ ــ ٥٩ .

١١ ــ محمد عبد الغني حسن ، فاسكودى كاما ، (القاهرة ــ) ، ص ٢٥ ؛ جورج فاضل حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندى (ترجمة يعقوب بكر) ، القاهرة ــ ١٩٥٨) ، ص ٢٣٧ .

١٢ ــ لوريمر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥ .

والكتاب مترجم الى اللغة العربية من قبل محمد امين عبد الله ، (عمان ــ ١٩٨٢) ، ص ص ١٥٣ ــ ١٥٤ .

١٣ ــ لوريمر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٦٦ ــ ٦٧ .
والكتاب مترجم من قبل محمد امين عبد الله ، (عمان ــ ١٩٨١) ، ص ص ٦٦ ــ ٦٧ .

١٤ ــ ولسن ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

١٥ ــ مايلز ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

١٦ ــ ولسن ، المصدر السابق ، ص ص ٦٦ ــ ٦٩ .

١٧ ــ المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

١٨ ــ ولسن ، المصدر السابق ، ص ص ٦٦٩ ــ ٧١ ، لوريمر ، المصدر السابق ، ص ٧ ، د . عبد العزيز محمد الشناوى ، المراحل الاولى للوجود البرتغالي شرقي الجزيرة العربية ، في كتاب لجنة تدوين تاريخ قطر ، ج ٢ ، ص ص ٦٢٦ ــ ٦٢٨ .

١٩ ــ ولسن ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

٢٠ ــ عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، ص ص ٣٢ ــ ٣٣ ، مايلز ، ص ص ٨٠ ــ ٨١ .

٢١ ـ مايلز ، ص ص ١٦٨ـ ١٦٩، لوريمر ، ج ١، ص ١٠ . عبد العزيز عبد الغني ابراهيم بريطانيا وامارات لساحل ، ص ٣٠ .

٢٢ ـ الشناوى ، ص ٦٤٠ ، د . صلاح العقاد . التيارات السياسية في الخليج العربي ، (القاهرة ـ ١٩٦٥) ، ص ١٧ .

٢٣ ـ الشناوى ، ص ص ٦٨٢ ـ ٦٨٧ .

٢٤ ـ د . عبد الامير محمد امين ، دور القبائل العربية في صد التوسع الاوربي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ في بغداد (بغداد ـ ١٩٧٤ ، ص .

٢٥ ـ د . محمود علي الداود ، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ، بحث مستل من مجلة كلية الاداب ، العدد ٣ ، كانون الثاني ١٩٦١ ، ص ١٢ ، عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل ص ص ٤٠ ـ ٤١ ، ولسن ، ص ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

٢٦ ـ زكي صالح، العراق وبريطانيا حتى عام ١٩١٤ (بغداد ـ ١٩٦٨) ص ص ٥٢ ـ ٥٤ ، ولسن ، ص ص ١٣٢ ـ ١٣٥ .

٢٧ ـ العقاد ، التيارات ، ص ٣٤ .

٢٨ ـ عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل ، ص ص ٤٥ ـ ٤٨ ، ولسن ص ص ٩٤ ـ ٩٦ .

٢٩ ـ زكي صالح ، ص ٤٧ .

٣٠ ـ المصدر نفسه ، ص ٤٨ ، ولسن ، ص ص ٩٨ ـ ٩٩ .

٣١ ـ زكي صالح ، ص ص ٤٨ ـ ٤٩ ، مايلز ، ص ٢٠٣ .

٣٢ ــ التفاصيل الحملة ضد هرمز انظر ، لوريمر ، ج ١ ، ص ص ٣٧ ــ ٤٤ ، ولسن ص ص ١٠٧ ــ ١١٥ ، مايلز ، ص ص ١٨٦ ــ ١٨٧ .

٣٣ ــ صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، ١٧٤٧ ــ ١٨٢٠ (بغداد ١٩٧٦) ص ص ٣٢ ــ ٣٣ ، ولسن ، ص ١٤٠ .

٣٤ ــ العقاد ، التيارات ، ص ٤٠ ، ولسن ، ص ص ١٥٠ ــ ١٥٢ .

٣٥ ــ عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل ، ص ص ٦١ ــ ٦٢ .

٣٦ ــ د . صالح محمد العابد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ ــ ١٨١٠) (بغداد ــ ١٩٧٩) ، ص ٣٩ .

٣٧ ــ عن نشاط هذه البعثة انظر، لوريمر ، ج ١ ، ص ص ٢٣٨ ــ ٢٤٢ ، ولسن ص ص ١٦٣ ــ ١٦٤ ، العقاد التيارات ، ص ٦٧ .

٣٨ ــ والكتاب مترجم للغة العربية بجزئين ، ترجمة محمد امين عبد الله ، (عمان ــ) ص ص ٩٧ ــ ٩٩ .

٣٩ ــ العقاد ، التيارات ، ص ٧٥ ، مايلز ، ص ٢٣٥ .

خامسا : الغزو الفارسي للخليج العربي والمقاومة العربية

ظلت السيادة البحرية على الخليج العربي وجزره منذ العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة بأيدى العرب سياسيا وتجاريا وبحريا ؛ وعند الغزو البرتغالي للخليج العربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر كان للعرب شرف مقاومتهم واخراجهم نهائيا منه . ولم يختلف الامر مع الهولنديين الذين تم طردهم على يد الامير العربي مير مهنا في عام ١٧٦٦ من اخر معاقلهم في (خرج)(١) ، وكذلك كان الامر في مواجهتهم للفرنسيين والانكليز الذين ظلوا ينازعونهم طيلة القرنين اللاحقين .

وعلى النقيض من موقف المقاومة العربية للقوى الاجنبية كان موقف الفرس هو التعاون والتحالف مع تلك القوى ضد مصالح اهالي المنطقة ، فكانت لهم علاقات تعاون وثيقة مع اسبانيا والبرتغال (٢) ، والهولنديين والانكليز وقد منحوا الاخيرين اعفاءات ضريبية وامتيازات تجارية واسعة وسمحوا لهم بأقامة وكالات ومقيميات في بلادهم وتعاونوا معهم ضد القوى العربية التي قاومت الغزو الاوربي ووجهت ضربات قوية الى سفنه وقواه العسكرية مثل حاكم بندر ريق والقواسم والعمانيين وبنو كعب .

لقد كان نشاط العرب البحري المتميز ومهارتهم فيه سببا لحقد الفرس عليهم ذلك الحقد الذى شكل جزءا من الصراع المتمثل في رغبة الحكومة الفارسية لبسط سيطرتها على موانىء وجزر الساحل الشرقي للخليج العربي والقضاء على نفوذ القبائل العربية التي استطاعت أن تمد نفوذها الى مناطق عديدة ، منها بندر عباس ، وميناب ، وبوشهر وبندر ريق ، ولنجة وجزيرة هرمز ، والجزر المجاورة لها وجزيرة خرج (٣) . وفضلا عن حقد الفرس على النشاط التجارى والبحرى وتواطئهم مع

القوى الاجنبية ، كانت لهم اطماعهم في منطقة الخليج العربي وجزره الساحلية الشرقية والغربية ففي عام ١٦٠٢ غزت القوات الفارسية البحرين واحتلتها(٤) فخضعت للحكم الصفوي ولكن بصورة غير مباشرة اذا استعان الفرس بتعيين عدد من الولاة أو الحكام العرب(٥) وسبب ذلك كما يبدو هو كره السكان العرب للفرس ولان سيطرتهم على البحرين لم تكن راسخة وكثيرا ما نجح الحكام العرب برفع النير الفارسي عنهم والاستقلال بالجزر(٦) مثل ما حصل في عام ١٦٩٨ عندما استقل الشيخ الجبرى بالحكم عن فارس(٧) .

وقد أظهرت تلك المحاولات عدم رضا سكان البحرين بالحكم الفارسي كما كانت البحرين مهيأة بقبول حكم عربي يسود في عهده الامن ويحقق العدالة بين السكان(٨) وتقدمت من أجل ذلك قوتان عربيتان هما العمانيون وآل خليفة من العتوب وقد تمكن الامام سلطان بن سيف الثاني من أسرة اليعاربة العمانية بقيادة حملة كبيرة على البحرين عام ١٧١٨ فحررها من السيطرة الفارسية وطرد الفرس منها واخضعها لدولة اليعاربة غير أن حكمهم للبحرين استمر فترة قصيرة اذ سرعان ماعاد الفرس الى احتلالها ثانية(٩) .

وبالرغم من الاحتلال الفارسي الجديد فقد تمكن الشيخ جبارة من عرب الساحل الشرقي للخليج العربي من حكم البحرين وظل يحكمها حتى عام ١٧٣٦(١٠) وعندما تولى نادر شاه الحكم في فارس وظهرت نواياه التوسعية نحو الخليج العربي غزت قواته البحرية والبرية البصرة وفشلت في احتلالها فاتجهت انظاره الى جزر البحرين وكلف حاكم اقليم فارس بأعداد قوة بحرية لغزو البحرين وأمره بشراء عدد من السفن الانكليزية والهولندية ، ونجح فعلا في شراء سفينة انكليزية بهدف غزو البحرين .

وأخذها من يد حاكمها العربي وقد استغل القائد الفارسي فرصة مغادرة الشيخ جباره لاداء فريضة الحج(١) فغزا الجزر واستولى عليها بعد قتال عنيف بين جنوده وعرب الساحل الشرقي وبذلك خضعت البحرين بصفة مؤقتة مرة اخرى للسيطرة الفارسية .

ولم يدم احتلال نادر شاه للبحرين طويلا فقد تمكن عرب الساحل الشرقي من تحريرها واستمروا في حكمها حتى عام ١٧٥٣ عند ظهور غازي فارسي جديد هو كريم خان الزندي الذى أحتلها وبقيت تحت حكمه حتى حررها العتوب في عام ١٧٨٣(١٢) .

ولم تقتصر الاطماع الفارسية على البحرين فقط ، بل شملت مشاريعهم التوسعية مناطق اخرى في الخليج العربي مثل البصرة وعمان . فمنذ عهد الشاه عباس الاول عام ١٦٢٤ أصدر أوامره الى حاكم شيراز أمام قلي خان لمهاجمة البصرة غير أن هذه الحملة ردت على أعقابها فأعاد الفرس الكرة في عام ١٦٢٥ وجهزوا قوات عسكرية كبيرة استعد لها أهل المدينة حيث أعلن التجنيد العام وتعالت الاصوات الوطنية ضدها ، مما اضطر القوات الفارسية على الانسحاب تاركة كل شيء حتى آلات المعسكر(١٣) ، وجرت محاولة اخرى لاحتلال البصرة عام ١٦٢٩ اذ قاد أمام قلي خان قوات فارسية كبيرة قابلها حاكم البصرة بالاستعانة بالقبائل العربية وبكسر السدة التي تحفظ المدينة من الغرق فغمرت المياه الاراضي المحيطة بها ، وقد فوت الفرصة على الفرس لتحقيق اهدافهم(١٤) .

وتكررت المحاولات الفارسية في القرن الثامن عشر لغزو البصرة فعند مجيء نادر شاه الى الحكم غزاها بحريا عام ١٧٣٥ وفي عام ١٧٤٣ غزاها برا وبحرا ولكن أهالي البصرة نجحوا في مقاومته وايقافه واضطرت القوات الفارسية الى التراجع والانسحاب بعد حصار استمر اكثر من ثلاثة

اشهر(١٥) . وبعد موت نادر شاه لم تتوقف الاطماع الفارسية التوسعية فتجددت عند تولي كريم خان الحكم وجهز قوات غزت شمال العراق وحاصرت البصرة في عام ١٧٧٥ وقابلتها بالمقاومة عشائر المنتفق العربية واصر اهالي المدينة على الصمود في وجه الغزاة ، وقد ارسل البصريون طلبا الى امام عمان احمد بن سعيد ليساعدهم باسطوله للدفاع عن المدينة ووعدهم بتلبية الطلب لادراكه للاطماع الفارسية في الخليج العربي ، وفعلا وصل اسطوله في شهر آب عام ١٧٧٥ ليساهم مع البصرة في قتالها ضد الفرس (١٦) حيث كان أهم سبب قد دعاهم لاحتلال البصرة هو اتخاذها قاعدة للتوسع في مناطق الخليج العربي بأتجاه عمان(١٧) وبالرغم من صمود البصرة لاكثر من عام في وجه الغزاة فأن نفاذ مؤنها واستمرار حالة الحصار الفارسي لها ، قد مكن القوات الفارسية من دخول المدينة واحتلالها ، وما تبع ذلك من صراعات وحشية ضد سكانها ، وبقيت سلطة الفرس مقتصرة على مدينة البصرة لذلك عندما حاولوا مد نفوذهم الى ديار قبائل (المنتفق) العربية هزموا في عام ١٧٧٧ في منطقة يقال لها (الفضيلة) وهزمتهم نفس القبائل عندما حاولوا غزوها ثانية عام ١٧٧٨ وتمكنوا من قتل قائد القوات في منطقة ابي حلانة ولم ينج من الجيش الفارسي احد سوى ثلاثة انفار(١٨) ، وانسحب الفرس من البصرة عام ١٧٧٩ بعد موت كريم خان وكان للمقاومة العربية المستمرة أثر واضح في اجبارهم على اتخاذ ذلك القرار .

ولم ينج الساحل العماني ومسقط من الاطماع الفارسية التوسعية التي ترجع الى عهد الشاه عباس الذي تعاون مع البرتغاليين ، فكانت للفرس حامية عسكرية في جلفار (رأس الخيمة) وقد تم طردهم منها بالرغم من اسناد السفن البرتغالية لهم على يد احد قادة الامام العماني ناصر بن مرشد(١٩) . واستغل الفرس فترة الحرب الاهلية في عمان

للتدخل بجانب هذا الطرف أو ذاك من الاطراف المتصارعة على الحكم ولينفذوا من خلال ذلك ويحتلوا اجزاء من الساحل العماني فغزا امير مكران مسقط عام ١٧٣٥ وهو يقود قوات من الجنود البلوش ، فتصدت لهم القوات العمانية بقيادة بلعرب بن سلطان وقتلت قائد القوة الغازية وهزمت جيشهم(٢٠) .

لم يتعظ الفرس من هذه الهزيمة ويكفوا عن التدخل في شؤون عمان الداخلية لاسيما بعد وصول نادر شاه الى السلطة في فارس حيث كانت تراوده رغبة كبيرة في مد نفوذه وبسطه على الخليج العربي ولاسيما الى عمان التي تشكل اهم عقبة امام اطماعه لما تملكه من قوات بحرية .

انتهز نادر شاه فرصة استعانة احد الحكام العمانيين به فأرسل قواته في ١٤ أذار ١٧٣٧ لتغزو عمان وتحتل (مسقط) وخور فكان ورأس الخيمة بعد معارك ضارية(٢١) . ولكنها لم تحقق الغزوة كامل اهدافها فتكرر الغزو الفارسي لعمان مرة ثانية عام ١٧٣٨ ولما استعصت قلعتا الجلالي والميراني على الفرس ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليهما رغم حصارهما مدة خمسة اسابيع(٢٢) ، وأن المقاومة العمانية اشتد اوارها في كل المناطق العمانيةوقد لحقت بهم خسائر كبيرةفي صحار بقيادة حاكمها احمد بن سعيد وبسبب وقوع اضطرابات في بندر عباس أمر نادر شاه قواته بالانسحاب لاخماد الاضطرابات هناك(٢٣) .

غير أن الفرس لم يتعظوا من عدم استطاعتهم احتلال اراضي عمان والبقاء فيها لضراوة مقاومة اهلها على الرغم مايدور انذاك من صراع داخلي بين المتنافسين اذ لم يمر على احداث الغزوة الفارسية الثانية سوى وقت قصير حتى قام جيش فارسي بغزو عمان للمرة الثالثة في عام ١٧٤٢. وقد اصطدمت القوات الفارسية بصمود اهالي صحار بقيادة احمد بن

سعيد الذى هاجم بعد ذلك القوات الفارسية عام ١٧٤٣ مجبرا اياها على التراجع الى مسقط ، ثم تمكن في منتصف عام ١٧٤٤ من تحريرها وجميع الساحل العماني من الفرس(٢٤) . ماعدا رأس الخيمة فقط ظلت تحت الاحتلال الفارسي حتى وفاة نادر شاه في عام ١٧٤٧ .

وتعرض الساحل الشرقي في الخليج العربي للمدوان التوسعي الفارسي فأمتد ليشمل الامارة العربية التي أقامها بنو صعب من القبائل (العمانية) في بندر ريق وخرج ، فقد كان للفرس دور في الاطاحة بالشيخ مهنا (ابن الشيخ ناصر ال صعب) المناهض للنفوذ الاوروبي في الامارة اذ سجن في شيراز لوقت قصير بعد عزله، وبذلك دخل الفرس طرفا مع القوى الاوروبية للتغلل في أمارة بندر ريق(٢٥) . غير أن الشيخ مهنا سرعان ما استعاد سلطته عام ١٧٥٦ بعد ثورة قادها ضد الشيخ حسين الموالي للنفوذ الاجنبي وتصدى لاطماع الفرس في بندر ريق وارسل الشاه الفارسي بالتعاون مع الاسطول الانكليزى قوات تغزو امارته لكن الشيخ مهنا تمكن من أفشالها بمساعدة بحرية من الشيخ سلمان رئيس أمارة كعب في الاحواز(٢٦) .

لم تحقق هذه الغزوة الفارسية الانكليزية أيا من اهدافها فالتجا الفرس الى التعاون مع الهولنديين وقاموا بغزو مشترك لكنهم لم يتمكنوا ايضا من الامارة العربية ، واستطاع في النهاية الشيخ مهنا أن يحرر خرج من الاحتلال الهولندى ويطردهم منها عام ١٧٦٦ وأثار هذا النصر حفيظة الفرس الذين اتفقوا مع الانكليز في ١٤ نيسان عام ١٧٦٨ على خطة ترمي الى القضاء على أمارة الشيخ مهنا واحتلال جزيرة خرج(٢٧) . وقد قام الانكليز على أثر هذا الاتفاق بعمليات عسكرية ضد الامارة العربية كانت نتيجتها الفشل ، وعوضوا عن ذلك الفشل في اثارة الاضطرابات داخل

بندر ريق عام ١٧٦٩ ونجحت الحركة بالاطاحة بحكم الشيخ مهنا الذى غادر خرج الى البصرة حيث قامت السلطات العثمانية بأعدامه(٢٨) .

تحقق للفرس بعدئذ النفوذ في بندر ريق وخرج وتم القضاء على الامارة العربية التي وقفت في وجه الاطماع الاوروبية والفارسية واستمر الفرس في تعاونهم مع كل القوى الاجنبية التي اصطدمت بالقوى العربية طيلة القرن التاسع عشر فساندت الانكليز في غزوهم لساحل عمان وأرسالهم القوات العسكرية ضد القواسم فيذكر هارفرد جونز المبعوث الانكليزى الى الشاه الفارسي في العقد الاول من القرن التاسع عشر بأنه عندما اخبر بما حققه اسطول شركة الهند الانكليزية من نجاحات ضد قوى العرب البحرية في الخليج العربي أجابة بالحرف الواحد « بارك الله ، انه عمل شجاع » (٢٩) .

وناصبت فارس العداء لعمان وانتهزت كل الفرص للاستيلاء على الجزر في الخليج العربي وظلت تدعي بتبعية البحرين لها . وكانت اساليبها في التعامل مع القوى العربية في ساحل الخليج العربي الشرقي والغربي قائمة على الغزو والتدخل العسكرى والتعاون مع كل القوى الطامعة فيه .

هوامش خامسا

(١) A. Parsons, Travels in Asia and Africa "London 1800" P.193.

(٢) علاء تورس ، السياسة الايرانية في الخليج العربي أبان عهد كريم خان ١٧٥٧ ـ ١٧٧٩ (الكويت ١٩٨٢) ، ص ٠

(٣) كاظم باقر علي ، البحرية الفارسية في الخليج العربي دراسة لواقعها البحرية ١٨٤٨ ـ ١٩٠٧ ، (البصرة ١٩٨٤) ، ص ٣٠ ٠

(٤) أرنولد ويلسون ، تاريخ الخليج ، ترجمة محمد امين عبد الله (مسقط (١٩٨١) ص ١٠٣ ٠

(٥) ابراهيم خلف العبيدى ، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ ـ ١٩٧١ ، (بغداد ١٩٧٦) ، ص ٢٣ ٠

(٦) جمال زكريا قاسم ، الادعاءات الايرانية في الخليج العربي ، المؤتمر الدولي للتاريخ (بغداد ١٩٧٣) ص

(٧) محمد خلف النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ج ١ القاهرة ١٣٤٢) ، ص ١٠٩ ٠

(٨) علي ابا حسين ، تاريخ البحرين من خلال المخطوطات والوثائق ، الحلقة الرابعة لمركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، ابو ظبي ١٩٧٩ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ٠

(٩) لوريمر (ج ج) ، دليل الخليج القسم التاريخي ، ج ٣ ، (قطر ، لات) ص ١٣٧٣ ٠

(١٠) العبيدى ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(١١) التبهاني ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(١٢) العبيدى ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(١٣) ستينفس هميلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط (بغداد ١٩٦٨) ص ١٣٢ .

(١٤) نورس ، المصدر السابق ، ص ٩ .

(١٥) عماد عبد السلام ، صمود البصرة اثناء حصار نادر شاه عام ١٧٤٣ ، مجلة كلية التربية ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٣١٨ .

(١٦) S. Miles, The countrits and Tribes of the Gulf "London, 1966", P. 273.

(١٧) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ١٨٦٩ .

(١٨) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(١٩) حميد بن محمد ، الفتح المبين في سيرة السادة البو سعيديين ، تحقيق عبد المنعم عامر ومرسي عبد الله ، (عمان ١٩٧٧) ، ص ٢٧٣ .

(٢٠) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧ ـ ١٨٤٠ ، القاهرة ١٩٨٥ ص ١٣٨ .

(٢١) عائشة دولة اليعاربة ، (بيروت ١٩٧٥) ، ص ١٩٥ .

(٢٢) صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي (بغداد ١٩٧٦) ، ص ٤٧ .

(٢٣) صادق عبد وانـي ، الدولـة العمانيـة نشأتهـا وازدهارهـا ، مجلـة حصاد الندوة العمانية ج ٣ ، (عمان ١٩٨٠) ص ٥٧ ٠

(٢٤) L. lockhart, Nadir Shah" London 1938,. P. 219.

(٢٥) نورس ، المصدر السابق ، ص ٤٠ ـ ٤١ ٠

(٢٦) C. Niebur. Voyage en Arabie, Vol. 11. Amsterdam. 1770. P. 159.

(٢٧) نورس ، المصدر السابق ، ص ٤٩ ٠

(٢٨) عبد الامير محمد امين ، المصالح البريطانية في الخليـج العربـي (بغداد ١٩٧٧) ، ص ١٩٣ ٠

(٢٩) H. Brydage. An Account of the Transaction of his Magesty to the Court of Persia 1807, -1811 "London 1834, P. 40.

الفصل الثالث

المقاومة العربية للغزو الاوربي والتطورات الداخلية

في

الامارات العربية

المقاومة العربية للغزو الاوربي والتطورات الداخلية في الامارات العربية

يعد القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر عصر الاندفاع والحيوية للقوى العربية في الخليج العربي ، ففي كل جزء من اجزائه ظهرت قوة عربية متميزة . فظهر اولا وقبل كل شيء اليعاربة في عمان الذين خاضوا صراعا عنيفا مع البرتغاليين وتمكنوا من طردهم نهائيا من الخليج العربي ثم اعقب ذلك نشاط قبائل عربية اخرى منهم الحولة على جانبي الخليج العربي الشرقي والغربي ، والحولة اسم عام يطلق على القبائل العربية القاطنة في المنطقة الممتدة بين بندرعباس ورأس بردستان بالقرب من بوشهر ـ ومهنتها الرئيسية الملاحة والصيد ويمتازون بالشجاعة والشهامة وكان بامكانهم ـ كما يقول نيبور ـ السيطرة على جميع منطقة الخليج العربي لو كانوا متحدين غير أن انقسامهم الى امارات مستقلة حال دون ذلك . وقد استطاع عرب بندر ريق من طرد الهولنديين واخراجهم نهائيا من الخليج العربي . وقد شهد نيبور بنفسه مدى النفوذ الذى وصل اليه عرب الخليج وسيادتهم على سواحله جميعا مما دفع به الى التأكيد بأن العرب هم الذين يمتلكون سواحله بما في ذلك سواحله الشرقية، وان ملوك فارس لم يتمكنوا من منازعة العرب هذه السيادة ، وانهم متحملين على مضض بقاء السواحل الشرقية ملكا للعرب (١) .

وظهرت قوى عربية ذات بأس وشجاعة نادرة ، لعبت دورا مهما في جنوب الخليج العربي وشماله ، هي قوى القواسم وكعب الذين تحدوا الانكليز والفرس والعثمانيين معا وتمكنوا من انشاء كيانات عربية سيطرت على الخليج العربي وجزره كلها تقريبا وظهر العتوب في زبارة (قطر) والكويت والبحرين . والعتوب هم اتحاد قبلي اقرب منهم الى قبيلة واحدة وربما يعود اغلب العتوب الى قبيلة عنزة في الاصل . وقد سجل اول ظهور للعتوب على سواحل الخليج منذ ١٧١٦ .

ويمكن القول أن الفعاليات العربية في الخليج لم تقتصر على الجوانب العسكرية والحربية وانما شملت نواحي اخرى مهمة هي النواحي التجارية، ويكفي أن نقول أن عرب عمان في عهد البوسعيد اتجهوا اتجاها رئيسيا نحو التجارة ، بحيث وقعت التجارة بين الهند والخليج العربي بيد عرب عمان . وبلغت قوة القبائل العربية مبلغا كبيرا استطاعت معه الوقوف بوجه الانكليز في القرن الثامن عشر عندما حاولوا التوسع في الخليج العربي، وفي وقت كان فيه الانكليز قد حققوا سيطرة كاملة في الهند .

والخلاصة أن نمو القوى العربية في القرنين السابع والثامن عشر واضح وجلي ، وللاسف نقول أن النتائج لذلك النمو كانت محدودة . فعلى الرغم من استطاعة القبائل العربية المحافظة على استقلالها لكن طاقاتها كانت مبعثرة (١) ، وكان ينقصها الادراك السليم لمصالحها القومية المشتركة ولعل الظروف التي كانت تمر بها في تلك المرحلة ، فضلا عن المصالح الاسرية المتضاربة عوامل في ذلك . ومن هذه القوى العربية التي ادت الدور الكبير في تلك الفترة هي الاتية :

أولا ـ اليعاربة في عمان ١٦٢٤ ـ ١٧٤٩ :

ساهمت الروابط الدينية دورها في قيام النظام السياسي في عمان ، وارتبط قيام اسرة اليعاربة باحياء الامامة . وتعد قبيلة اليعاربة من اقدم القبائل واقواها في عمان ، وقد هاجرت اصلا من اليمن، ويدل استقرارها في الرستاق على انها من القبائل البارزة . وكانوا مثل غيرهم يتمتعون باستقلال في ادارة شؤونهم الذاتية .

كان الوضع الداخلي في عمان في مفتتح القرن السابع عشر ، يسوده الانقسام والخلافات والمشاحنات ،وبخاصة في منطقة الرستاق . وقد

زاد من خطورة الوضع في عمان ازدياد التواجد البرتغالي على الاراضي العمانية ، وذلك بعد طرد البرتغاليين من هرمز في سنة ١٦٢٢ الذين عوضوا خسارتهم لهرمز بزيادة فعالياتهم التجارية والعسكرية في أماكن اخرى من الخليج العربي وبخاصة مسقط . حيث شيدوا حاميات بالغة المناعة لتكون مركزا لنشاطاتهم في الخليج سواء من حيث التجارة أو التعبئة البشرية(٢) .

وازاء تلك الاوضاع اجتمع اهل الحل والعقد في الرستاق للتشاور في امورهم واوضاعهم السيئة ، واتفقوا على الحاجة الماسة الى امام عادل وشجاع ، يستطيع أن يفترض العدل ويحارب الباطل ويحمي البلاد من الاعداء ، فوقع الاختيار على ناصر بن مرشد بن مالك بن ابي العرب اليعربي ليكون اماما في عام ١٦٢٤ . وقد عرف عن الامام المنتخب الاستقامة والنزاهة والتدين « فاظهر العدل ودمر الجهل » كما يقول الازكوي (٣) ، وقد نسبت اليه الكرامات الدينية والخوارق، وهي امور حفزت الناس على الالتفاف حوله (٤) . ووصف بأنه اتسم بذكاء غير عادى وقوة نادرة ادرجة انه يمكن أن يوضع كواحد من أشهر امراء عمان (٥) .

قادت اسرة اليعاربة عمان الى مركز محترم ومزدهر في الداخل والخارج . ووصفت دولة اليعاربة بأنها (اقوى الدول البحرية التي عرفها الخليج العربي وشرق افريقيا خلال القرن السابع عشر الميلادى) . ويعد تولي الشيخ ناصر بن مرشد (١٦٢٤ ـ ١٦٤٩) الحكم في عمان في مرحلة مهمة ليست في تاريخ عمان فحسب بل في تاريخ الخليج العربي والمحيط الهندى ، فقد تمتعت عمان في عهده بالرفاه والمجد والقوة بشكل لم يسبق له مثيل . وقد بدأ الشيخ ناصر حكمه بتوحيد البلاد واستتباب الامن وبناء الحصون والقلاع وتنظيم الجيش فاستطاع إخضاع القبائل التي رفضت الاعتراف بسيادته وتوحيدها تحت زعامته .

واختفت الصورة السابقة ، صورة الصراع بين القوى القبلية ، وظهرت الوحدة الوطنية العمانية باجلى صورها في مقاومة الاستعمار البرتغالي (٦) .

وكانت سياسة الامام ناصر بداية لصراع عربي برتغالي مرير وطويل استمر مايقارب من قرن وانتهى بانتصار العرب وطرد البرتغاليين من الخليج العربي . ففي سنة ١٦٤٠ أرسل الامام ناصر حملة الى مسقط وصلت الى أسوار المدينة وهدمت عددا كبيرا من الابراج والمباني التي كان البرتغاليون يتحصنون فيها ، لكنها لم تستطع تحرير المدينة وهاجمت قوة عمانية اخرى جلفار (رأس الخيمة) وتمكنت من احتلال احدى القلعتين في المنطقة وتحريرها وطرد الفرس والبرتغاليين منها . وفي سنة ١٦٤٣ أرسل حملة لتحرير صحار وخورفكان وتمكن من تحريرها ، وأجبر البرتغاليين على دفع الجزية السنوية ، والتسليم بحرية التجارة للعرب في المناطق التي كانوا يسيطرون عليها . وقد شجع هذا الانتصار اليعاربة على الاستمرار في الاجهاز على البقية الباقية من الوجود البرتغالي ، فهاجموا صور وقريات ونجحوا في تحريرهما من البرتغاليين .

ازداد النشاط العربي المعادي للبرتغاليين ،وفي ١٦ أب ١٦٤٨ أرسل الامام ناصر حملة بقيادة سعيد بن خليفة لتحرير مسقط فحاصر الميناء حصارا محكما ، واجبر البرتغاليين على طلب الصلح ، وفرض الامام شروطه على البرتغاليين التي تضمنت :

١ ـ تسليم القلاع البرتغالية في قريات وصور للعمانيين .

٢ ـ لايدفع العمانيون أية ضرائب على بضائعهم في مسقط .

٣ ـ يدفع البرتغاليون ضريبة كبيرة للعمانيين .

٤ ـ يمتنع البرتغاليون عن القيام باعمال عدائية ضد اليعاربة .

٥ ـ يقوم العمانيون بهدم التحصينات التي اقاموها خلال الحصار ، ولايحق للبرتغاليين بناء تحصينات اخرى على انقاضها(٧) .

وتمثل هذه الشروط ضربة قوية للبرتغاليين ، وتدميرا تجاريا وعسكريا لهم ، وعدها ملك البرتغال اهانة شخصية له ، وسرعان مانكث البرتغاليون الصلح، وبادرت السلطات البرتغالية الى عزل القائد البرتغالي المسؤول عن توقيعها . وارسل ملك البرتغال تعليمات الى الخليج العربي أكد فيها بذل كل جهد من اجل الحفاظ على مسقط . وان ترابط السفن البرتغالية بالقرب منها ، ولايسمح للعرب بالاقامة فيها . وان تعزز القلاع البرتغالية فيها . فتجددت الحرب وحاصر العمانيون المدينة مرة اخرى ، ولم تستمر مقاومة البرتغاليين طويلا حيث نفذت ذخيرتهم وانتشر الذعر بينهم ، فاضطر حاكم المدينة الى طلب الصلح بشروط مهينة .

أصبح البرتغاليون في موقف الدفاع بعد أن كانوا دائما في موقف الهجوم ، وبعد قبولهم دفع الجزية للامام تسليما ضمنيا بتبعيتهم للحكومة العمانية . وكان لهذا النصر أثره في نفس العمانيين شجعهم الى مواصلة النضال لتحرير بلادهم وتخليصها من الاعداء ،وفي تلك الفترة توفي الامام ناصر بن مرشد في (٢ نيسان ١٦٤٩)، ففقدت عمان بموته قائدا وزعيما استطاع أن يحقق الكثير في سبيل توحيد البلاد وتحريرها من السيطرة الاجنبية فقد انجز الجانب الاساس من عملية تصفية السيطرة البرتغالية .

تولى الامامة في عمان سلطان بن سيف (١٦٤٩ ـ ١٦٦٨) ابن عم الامام السابق وقائده العسكري . الذي سبق أن ادى دورا في المقاومة العربية ضد البرتغاليين ، فقد قام بقيادة عدة حملات ادت الى طرد البرتغاليين من صور وقريات وحصن الصير بعد معارك عنيفة . ويدل انتخابه للامامة على رغبة العمانيين بمواصلة العمل العسكري لتحرير البلاد كلها ، فسارع سلطان في السنة ذاتها الى محاصرة مسقط مرة اخرى .

واعلن حربا شاملة ضد السيطرة الاجنبية في مسقط وأشرف على العمليات العسكرية الى أن حقق الله له النصر في فترة لاتزيد على ستة اشهر • ففي أوائل سنة ١٦٥٠ باغتت جماعة صغيرة من المهاجرين العمانيين مسقط ودخلتها بهجوم ليلي وانتشرت في اسواقها وشوارعها ، فانسحب البرتغاليون من المدينة ، وقام العرب بتحريرها ولم يعد للبرتغاليين وجود في الخليج العربي سوى ميناء كنج الصغير على الساحل الشرقي الذى دمره العرب في سنة ١٦٩٥ (٨) • ويصف مؤلف تاريخ أهل عمان سلطان بن سيف بقوله « قام بالعدل وشمر وجاهد في ذات الله وماقصر ونصب الحرب لمن بغى بمسكد (مسقط) وسار لهم بنفسه حتى نصر الله عليهم وافتتحها ولم يزل يجاهدهم في البر والبحر ، فاستفتح كثيرا من بلدانهم ، وخرب كثيرا من مراكبهم ، وغنم كثيرا من اموالهم » (٩) •

أن تحرير مسقط كان ضربة قاتلة للوجود البرتغالي في الخليج العربي ، واعطى في الوقت نفسه دفعا للعمانيين للقيام بحملة واسعة لمطاردة البرتغاليين في كل مكان من الخليج العربي ومن المحيط الهندى وسواحل افريقيا الشرقية التي دفعها الانتصار العربي لاشعال نار الثورة ضد البرتغاليين •

ازداد اهتمام العمانيين ببناء قوتهم العسكرية ، فعمل سلطان بن سيف على تكوين اسطول بحرى كفء استطاع ارغام البرتغاليين على التسليم الكامل لحصونهم التي لا تقهر ـ كما كانوا يسمونها ـ بعد احتلال دام اكثر من قرن ونصف قرن من الزمان • ففي سنة ١٦٥٥ هاجم اسطول عماني بمباى ، واتجه اسطول اخر الى شرق افريقيا حيث هاجم ممباسا ، وكان سكانها قد طلبوا مساعدة العمانيين ضد السيطرة البرتغالية ، فحررها العمانيون وعينوا حاكما عربيا عليها هو محمد بن مبارك مع حامية قوية ، لكن البرتغاليين استرجعوها في عام ١٦٦١ وعاقبوا سكانها

الذين قاموا بزيارة لعمان لاستدعاء الامام سلطان بن سيف لانقاذهم من مقاطعات شرق افريقيا . وقد استطاع العمانيون استعادة ممباسا ثانية من البرتغاليين في سنة ١٦٩٨ ، أي بعد (٣٧) عاما . ويبدو أن اتساع ثورات العرب والافارقة في شرق افريقيا جعلت الامام سلطان بن سيف يتطلع الى شن هجوم على موزمبيق حيث قام العرب والافريقيون بمحاصرة قلعتها الكبيرة ، وكادت القلعة أن تسقط لولا انفجار لغم كبير اثار الذعر في نفوس المهاجمين فرفعوا الحصار (١٠) .

وانتعشت الاحوال الداخلية في عمان في عهد سلطان بن سيف وبخاصة ازدهار التجارة وانتشار الامن والعدل ، ويقول مؤلف تاريخ اهل عمان :

واعتمرت عمان في دولته وزهرت واستراحت الرعية في عصره وشكرت ورخصت الاسعار وصلحت الاسفار وربحت التجار وسدت الاثمار وكان متواضعا للرعية ولم يكن محتجبا عنهم وكان يخرج في الطريق بغير عسكر ، ويجلس مع الناس ويحدثهم ويسلم على الكبير والصغير ، والحر والعبد ولم يزل قائما مستمرا حتى مات(١١) .

توفي الامام سلطان بن سيف حوالي سنة ١٦٦٨ وخلفه ابنه بلعرب بن سلطان (١٦٦٨ـ١٦٨١) الذى استمر في مقاومة الفرس والبرتغاليين فبعد مرور عامين من توليه ارسل حملة ضد البرتغال في ديو ، ويذكر الكسندر هاملتون (حوالي عام ١٦٧٠ جاء عرب مسقط في اسطول تجارى ونزلوا في الليل في غرب الجزيرة دون أن يكشفهم احد .. وعند طلوع النهار فتحت بوابات المدينة ودخلوا اليها دون مقاومة) وكانت الحملة بقيادة سيف بن سلطان شقيق الامام بلعرب . واراد البرتغاليون الرد على العرب باحتلال مسقط وارسلوا اسطولا في عام ١٦٧٣ الا أن الامام سلطان تمكن من القضاء على اغلب الاسطول البرتغالي ولكن نشاط القوى العمانية قل بعد ذلك بسبب الحرب الاهلية التي نشبت بين الاخوين بلعرب وسيف

التي ادت الى انقسام العمانيين الى قسمين وقد ظهر بان سيف اكثر حيوية ونشاطا فالتفت حوله معظم القبائل وسيطر انصاره على معظم اجزاء عمان فاضطر بلعرب الى الانتحار وبويع سيف بالامامة ، وقد ارتضته القبائل كلها بلا تردد وكانت شعبية سيف في ذلك الوقت كبيرة حيث اكتسب الاحترام ونال اعجاب العرب لشخصيته القوية وصفاته كقائد .

بلغت عمان اوج قوتها في عهد الامام سيف بن سلطان (١٦٨١ - ١٧١١) الذى اهتم بالاسطول اهتماما كبيرا حتى صار اقوى اسطول محلي في المنطقة ، وقد هابه الانكليز والهولنديون وخافوه وقد دفعهم ذلك الخوف الى الامتناع عن تقديم المساعدة للفرس الذين كانت سواحلهم وموانئهم تحت رحمة العمانيين . ووصف بعض الرحالة الاوربيين عمان واسطولها في تلك الفترة منهم الكابتن شارلس لوكر Charles Lockeyer والكابتن الكسندر هاملتون Alexander Hamilton فالاول زار مسقط سنة ١٧٠٦ ووصف اسطول الامام بقوله انه يتالف من اربع عشرة سفينة حربية وعشرين سفينة تجارية ، واحدى السفن الحربية تحمل (٧٠) مدفعا ، ولا توجد من تحمل اقل من عشرين مدفعا . أما الكسندر هاملتون الذى زار عمان في سنة ١٧١٥ فيقول أن اسطول عمان يتألف من سفينة كبيرة تحمل اربعة وسبعين مدفعا وسفينتين تحمل كل منها من اثنى عشر مدفعا الى اثنين وثلاثين مدفعا وعدد كبير من السفن الصغيرة . وقد سيطر هذا الاسطول على جميع السواحل العربية الممتدة من هرمز الى مضيق باب المندب(١٢) .

(١)

كان هدف الامام سيف هو مقاومة الاطماع الفارسية في الخليج العربي ومحاربة البرتغاليين في الخليج العربي والهند وافريقيا، فتمكن من تحرير البحرين من السيطرة الفارسية . وهدد الفرس في بندر عباس الذين طلبوا مساعدة الانكليز ضد العمانيين وقد اتخذ البرتغاليون قرارا بمساعدة

الفرس ضد عرب عمان الامر الذى دفع العرب الى طرد البرتغاليين من آخر معقل لهم في الخليج العربي هو ميناء كنج الصغير في الساحل الشرقي وذلك في عام ١٦٩٥ ، وبذلك اصبحت سيطرة العمانيين على الخليج العربي وعلى جزره تامة تقريبا(١٣) .

وحذر سيف الدول الاوربية من مساعدة الفرس ضد العرب وبان مصيرهم سيكون نفس مصير البرتغاليين . وحقق ميناء مسقط ازدهارا كبيرا واصبح احداهم المواقع في الخليج والبحر العربي كمركز للتوزيع التجارى من جهة ومحطةللسفر والتزود بالماء وشراء الماشية من جهة أخرى .

استنجد اهالي شرق افريقيا سنة ١٦٩٨ بالامام سيف لمساعدتهم في طرد البرتغاليين فارسل حملة قوية لتحرير ممباسا ، وكان حصار ممباسا الذىاستمر ثلاثة اشهردليلا قويا علىمدى قوة البحرية العمانية،فقد عانى البرتغاليون من نقص المؤونة والسلاحرغم ماكانوا قد خزنوه فيها ولم تفد العديد من النجدات التي ارسلتاليهم وبعد تحرير ممباساعين عليها ناصر بن عبد الله حاكما وقام العمانيون بطرد البرتغاليينمن بمبا وكلوة وباتا وزنجبار ، وتمكنوا من تحرير اغلب الساحل الشرقي لافريقيا من البرتغاليين .وقد وصف المؤرخ العماني حميد الدين السالمي اعمال الامام بقوله :

(حارب الامام (الغزاة) في جميع الاقطار وعمل لهم مراكب عظيمة في البحر وعظم جيشه وقوى سلطانه واخذ من النصارى ممباسا والجزيرة الخضراء وكلوة وباتا وغيرها من البلدان التي بالزنج ومن البلاد التي بالهند)(١٤) .

وقد ترتب على احلال السيادة العربية في شرق افريقيا بدلا من السيطرة البرتغالية انطلاقة جديدة للعرب والاسلام . فقد اتيح للمؤثرات

العربية والدين الاسلامي المناخ الصالح للانتشار واستؤنفت الاتصالات التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا ٠

أما عن الاوضاع الداخلية في عهد الامام سيف فلا تحدثنا المصادر الا عن قليل التمردات الحروب ولعل قبضته القوية وتوجيه العمانيين لتحرير الخليج العربي وفرت لعمان الامن والاستقرار الداخلي ، الامر الذى دفع الامام الى القيام بكثير من الاصلاحات كاستصلاح الاراضي وتحسين وسائل الارواء وغيرها ووصف بالقول :

(عمر عمان كثيرا واجرى فيها الانهار وغرس فيها النخل والاشجار وجمع مالا جما ٠٠ وغرس في عمان ثلاثين الف نخلة ومن النارجيل ستة الاف ٠٠ وغرس اشجارا مجلوبة من البحر واشجارا من الجبل ، مثل الزعفران والبن وجلب له ذباب النحل)(١٥) ٠ وقد توفى الامام سيف في (١٤ تشرين الاول ١٧١١) . وبذلك انتهت حياة اعظم الائمة اليعاربة ٠ خلف سلطان (١٧١١ ــ ١٧١٩) الابن الاكبر للامام سيف اباه في حكم عمان٠ وسار على سياسة والده الرامية الى ابعاد الفرس والبرتغاليين وتأكيد السيادة العربية في المنطقة ، فازداد النشاط العربي وتمكن العمانيون من التصدى للاطماع الفارسية في الساحل الشرقي للخليج العربي ، وحرروا جزيرة قشم والجزر العربية منها ، ويصف الازكوى ذلك بقوله :

« جاهد الاعداء في البحر وحارب العجم في مواقع شتى واخرجهم ودمرهم في البحرين والقشم ولارك وهرموز وتلك البلدان التي بقرب ذلك » (١٦) ٠

ووقف ضد تحالف أقيم بين الفرس والبرتغاليين هدفه القيام بعملية حربية ضد العرب العمانيين عام ١٧١٩ ٠ وقد توفى سلطان بن سيف في سنة ١٧١٩ وبموته انتهى عهد الهدوء والاستقرار والتوسع في عمان

فقد حدثت فتنة وقامت الحرب الاهلية ، نتيجة لانتخاب ابنه سيف وهو صبي في الثانية عشرة ، اما فعد ذلك بدعة ، وضعف مركز الامامة نتيجة لظهور فرق دينية متنازعة وهي الغافرية والهناوية التي ظلت في نزاع مستمر لمدة طويلة مهد السبيل الى الغزو الخارجي وانهاء حكم اليعاربة .

وخلال فترة الصراع الداخلي كان سيف بن سلطان قد بلغ مرحلة الرجولة وجرى تثبيته اماما عن الاتحاد الهناوي بوصفه اجراءا معاكسا قام الغافرية بانتخاب امام اخر لهم هو بلعرب بن حمير . وقد اثبت سيف عجزه وعدم كفاءته وابتعد في تصرفاته الشخصية عن المبادىء الاباضية المتزمته ووصف بأنه « ضعيف الارادة ، خائر العزيمة ، سيء الخلق » ولهذا لم تمض عدة سنوات حتى كان حكمه على حافة الانهيار ، وهذا مادفعه الى اللجوء الى الحاكم الفارسي نادر شاه في طلب المساعدة ضد معارضيه وكان هذا الطلب خروجا على التقاليد العربية في الاستعانة بالاجنبي الطامع في المنطقة . وقد انتقد الازكوى هذا الطلب بقوله :

« جعل يكاتب الاعداء من العجم لينصروه في ظنه ، وهم يريدون ملك عمان وخرابها » (١٧) .

يمثل نادر شاه انموذجا للاطماع الفارسية في منطقة الخليج العربي والعراق ووصفه لاندن بانه « اخبث حكام ايران » وكان يتحين مثل هذه الفرصة ليزيد من رقعة امبراطوريته في الخليج . ولم يكد يستولي على السلطة السياسية في فارس حتى بدأ على الفور ببناء قوة عسكرية لتحقيق اطماعه التوسعية في كل من البحرين الشمالي والجنوبي اى بحر قزوين والخليج العربي(١٨) . واولى القوة البحرية اهتماما خاصا بعد ما عرف عن الفرس عجزهم البحري وفقدانهم الاسطول . وقد ذكر السير برسي سايكس احد المهتمين بتاريخ فارس ذلك بقوله « ليس هناك شيء يوضح لنا تأثير العوامل الطبيعية على ميول الناس وسلوكهم احسن من النفور

والكره الذين يظهرهما الفرس دائما للبحر الذى تفصلهم عنه حواجز جبلية شاهقة(١٩) . وليس ادل على جهلهم بالشؤون البحرية من تعينهم محمود تقي خان قائدا للبحرية وهو شخص لم يشاهد اى سفينة في حياته(٢٠) . ولهذا فشل الضباط الفرس في قيادة الاسطول الامر الذى اضطر نادر شاه الى اسناد قيادته الى بعض الضباط العرب في اواخر ايامه .

لقي طلب سيف استجابة سريعة من نادر شاه الذى كان يتوق الى الموقف وفرصة تمكنه من مد نفوذه الى الخليج العربي بالسيطرة على مسقط والموانيء العربية الاخرى على الساحل الغربي من الخليج وبالتالي تحقيق اطماعه التوسعية في المنطقة العربية فارسل نادر شاه اسطوله في (نيسان ١٧٣٧) الذى ضم اربع سفن كبيرة وعددا من السفن الصغيرة بقيادة لطيف خان وسار لطيف خان مع سيف بن سلطان لمحاربة بلعرب بن حمير الامام الثائر الذى خرج اليهم من نزوى فاستطاعا دحره واحتلال عدد من مدن عمان المهمة . وقد نشب الخلاف بين الامام سيف ولطيف خان حيث استفزت تصرفات القائد الفارسي وعدم ميله الى معاملة الامام بالاحترام اللائق (سيف) الذى اخذ يشعر بالريبة من نوايا الفرس في ارجاع المناطق التي احتلوها اليه وان هدف الفرس هو السيطرة وليس المعاونة ، فأدى ذلك الى انفراط عقد التحالف العسكرى بينهما(٢١) .

تجددت الثورة ضد سيف في سنة ١٧٣٨ فعاد الى طلب المساعدة من الفرس مرة ثانية فبادر نادر شاه بارسال تقي خان لمعاونة لطيف خان وتمكن القائد من احتلال اجزاء من الساحل العماني ويصف مؤلف تاريخ اهل عمان اعمال الفرس غير الانسانية عند احتلالهم بعض المدن العمانية بقوله :

« قتلوا الرجال والاطفال والنساء حتى قيل أن الاطفال يربطون في حبل ويجعلونهم في مياه الانهار تحت القناطر(٢٢) ، ويصف ايضا ما حل

بأهل نزوى على ايدى الفرس بالقول: «عذبوهم بالجلد والقتل .. حتى قيل أن الذين فقدوا اربعة الاف نفس وحملوا الاطفال والنساء وفعلوا من انواع القبيح مالا يذكر »(٢٣) ، ويؤكد الازكوى افعال الفرس البعيدة عن القيم والاخلاق ، ويذكر انهم فعلوا افعالا قبيحة واذا قوهم اليم العذاب (٢٤)، وتقدما نحو مسقط التي بقيت قلاعها صامدة رغم طول مدة الحصار . وبعد أن ادرك سيف أن الامر قد اوشك ان يخرج من يديه فسارع الى الاتفاق مع منافسه ويذكر الازكوى أن مشايخ بنو غافر رأوا أن « يستعفوا يلعرب عن الامامة للقضاء على الفرقة والفتن في عمان وليجتمعوا جميعا على عدوهم العجم(٢٥) . وبعد أن وافق يلعرب على سحب ادعاءاته بالامامة طلب سيف من الفرس الانسحاب(٢٦) .

طلب سيف مساعدة الفرس/للمرة الثالثة في سنة ١٧٤٢ عندما ظهر منافس جديد له هو سلطان بن مرشد الذى انتخبه الفاقرية لمنصب الامامة فعقد الفرس معاهدة مع سيف نصت على قيام الفرس بمساعدته لاستعادة ملكه على أن يعترف (بالسيطرة الفارسية) على عمان لقاء ذلك (٢٧)

فتمكن الفرس من احتلال بعض المناطق المهمة في عمان ومنها مسقط وظهر جليا ان الفرس جاءوا ليبقوا(٢٨) فالتجأ سلطان بن مرشد للتعاون مع احمد بن سعيد حاكم صحار لمقاومة الفرس فتحولت صحار الى قاعدة للمقاومة العربية ضد الاحتلال الفارسي وقد وصف رودولف سعيد روت الوضع في صحار بقوله :

فقد تجمعت في صحار فئة صغيرة من المحاربين الاشداء بقيادة رجل بسيط المنبت كريمه ، هو احمد بن سعيد الذى لم يكن لم يكن في الواقع الا عاملا امينا من عمال البيت الحاكم . وقد استطاعت صحار بقيادته أن تصمد امام الفرس .. وان تظل على صمودها هذا رغم الفشل الذى منيت به حملات سلطان بن مرشد لفك الحصار عنها(٢٩) .

وهكذا كان احمد بن سعيد قائدا قويا وصلبا اندفع بكل قوته لاستعادة استقلال البلاد وتحريرها من السيطرة الفارسية ، واسترجاع مكانتها الكبيرة وتحقيق وحدتها ويصف مؤلف «تاريخ اهل عمان» الحصار الفارسي لصحار والمقاومة البطولية في المدينة بقوله :

« ارسل العجم .. من يأتي لهم بقوم من شيراز ، وأتوابهم الى عمان، ونزلوا بصحار قدر عشرين وقيل ثلاثين الف وقيل اربعين الفا وقيل خمسين الفا جميع جيوشهم قصدوا الى صحار فحاصروها حصارا شديدا وكاد يتهدم الحصن وخلوا خندقا دائرا بالحجارة وبروجا عاليه من كل جهة من البر والبحر مراكب كثيرة وكانوا يضربون من الجانب الغربي وكذلك من المشرق .. وبنو لهم حصنا يسمونه (اردوا) . والسيد احمد بن سعيد صبر عن حصار العجم طوال تسعة اشهر واصابهم عدم المعيشة .. ومكث (احمد) يكثر عليهم غزواته .. حتى ملوا وكلوا وطلبوا الصلح بعدما ذلوا ومات اكثرهم وتخلل جمعهم وقتل منهم من قتل، وخرجو مذلولين مخذولين » (٣٠) .

أما الازكوي فيذكر بأن المقاتلين العرب المحاصرين في صحار شنوا هجوما جريئا على مواقع الفرس وحصنهم المعروف (بالاردو) « واوقعوا القتل في العجم الى أن اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ولم تبق من العجم الا (شن ذمه) قليلة ، وذلوا وطلبوا الامان من الامام والشيخ احمد بن سعيد » (٣١) .

ثانيا ـ البوسعيد :

أصبح احمد بن سعيد بعد انتصاره في صحار ، سيد عمان وزعيمها واعترف له الجميع بالزعامة والقيادة وقد ساعدته الظروف في تحقيق مسعاه . فقد استشهد سلطان بن مرشد اثناء محاولته فك الحصار عن

صحار ، بعد أن نجح في اختراق صفوف الفرس والالتحاق باحمد بن سعيد في صحار لكنه اصيب بجراح لم تمهله فلاقى حتفه بعد ايام من وصوله صحار ، وذلك في سنة ١٧٤٣(٣٢) . وتوفي في الوقت نفسه الامام المخلوع سيف بن سلطان الذى قيل بانه مات محزونا لانه وجد نفسه مخدوعا من الفرس(٣٣) . ولكن موت هذين الزعيمين لم يؤدى الى انهاء الانقسام الداخلي فقد تنافس اثنان من اليعاربة على الامامة هما ، بلعرب بن حمير ومجيد بن سلطان ، اخ الامام السابق سيف . فوقع الاختيار على الاول ، وانتخب اماما في العاصمة الرستاق .

ولم يحاول الامام الجديد ، بلعرب بن حمير الاشتراك في الحرب ضد الفرس بسبب غيرته الشديدة من غريمة احمد بن سعيد وخشيته من تزايد نفوذه ، ولهذا لم يقدم اية مساعدة أو تأييد لصحار في مقاومتها للفرس . فشمر احمد بن سعيد عن ساعد العزم وتمكن من تحرير مسقط في سنة ١٧٤٤ وطرد الفرس نهائيا بعد أن كبدهم خسائر فادحة قدرت باكثر من ثلاثة الاف قتيل . ويذكر الازكوي بعد الانتصار في صحار ووفاة سلطان بن مرشد وسيف بن سلطان طلب احمد بن سعيد من بلعرب بن سلطان اخ سيف أن يطلب من الفرس الانسحاب من مسقط وتوفير السفن لنقلهم الى بلادهم فرفض بلعرب بن سلطان ذلك ، الامر الذى دفع احمد بن سعيد الى مطالبة الفرس بالرحيل عن مسقط فرحل قسم منهم وبقي اخرون الامر الذى دفع احمد بن سعيد الى محاربتهم واخراجهم بالقوة وتحرير الساحل العماني منهم نهائيا بعد أن كان «مرادهم ملكها وخرابها وهلاك اهلها» (٣٤) . فاصبحت عواطف الكثيرين معه ومن طباع العرب البارزة اعجابهم بالبطولة وتقدير الرجال الابطال منهم ، فقد سارع احمد بن سعيد الى دعوة الرؤوساء والقضاة وشيوخ القبائل لعقد اجتماع مهم في العاصمة الرستاق ، وطلب اليهم تعيين احدهم

امامًا ، فقام احدهم وبايع احمد بن سعيد بالامامة لانه الذى عمل على تحرير عمان من الاحتلال الفارسي . وهناك خلاف بين الباحثين في تحديد السنة التي بويع فيها بالامامة ، ولكن الراجح هو في سنة ١٧٤٥ على اكثر تقدير(٣٥) .

بدأت مرحلة جديدة من الصراع في عمان والحروب الاهلية نتيجة لوجود امامين في أن واحد هما بلعرب بن حمير الذى ايدته القبائل الغافرية وامدته بالعدة لاستعادة ما سموه « حقه المسروق في الامامة » واحمد بن سعيد الذى حظى بالتأييد الشعبي وتأييد القبائل الهناوية . وقد مر الصراع بمرحلتين ، امتدت الاولى من سنة ١٧٤٥ حتى أوائل سنة ١٧٤٩ ، والثانية وهي الحاسمة كانت في اواخر سنة ١٧٤٩ . وكان التفوق حليف بلعرب الذى حصل على مساندة قبائل القواسم في (ساحل الشمال) التي كانت تتوق للحصول على استقلالها عن عمان ، في المرحلة الاولى حيث حقق عددا من الانتصارات على خصمه . أما المرحلة الثانية وهي الحاسمة التي وقعت في اواخر سنة ١٧٤٩ فقد دارت فيها الدوائر على بلعرب اذ اندحر في معركة فارك قرب الجبل الاخضر . واسفرت تلك المعركة عن مقتل بلعرب وانهيار المقاومة الغافرية وبذلك صفا الجو لاحمد بن سعيد الذى ظل في الحكم حتى وفاته في سنة ١٧٨٣(٣٦) .

ويعد تولي احمد بن سعيد السلطة في عمان في سنة ١٧٤٩ نهاية لحكم اليعاربة وبداية لحكم سلالة البو سعيد والتي تواصل حكمها بدون انقطاع حتى الوقت الحاضر . وآل بو سعيد قبيلة من عرب الجنوب كانت قد هاجرت الى عمان في القرون الاولى(٣٧) وقد وصف احمد بن سعيد بأنه « واسع الصدر كثير الكرم كثير التواضع لله ، ليّن الجانب للفقراء والمساكين ، مستمعا لكلامهم »(٣٨) . وقد شمر احمد بن سعيد عن ساعد العزم لتحقيق الوحدة الوطنية في بلاد تفصل بين اجزائها سلاسل من

الجبال الشاهقة الموحشة وتسكنها قبائل متعددة اعتادت كل منها على الحفاظ على استقلالها وفرديتها واوضاعها(٣٩) .

اثبت الامام احمد بن سعيدانه ذو ارادة قوية مكنته من فرض الوحدة على عمان فقد ادرك اهمية القوة العسكرية في الداخل والخارج فاهتم بانشاء قوة برية ونظم الجيش على الاسس العصرية فكان جيشا ثابتا منظما ، اشرف بنفسه على تسليحه كما اهتم بما صار اليه من اساطيل اليعاربة وزاد عليها الكثير من السفن والاسلحة . وقد استخدم الامام احمد كل الوسائل لتحقيق اهدافه فعمل على كسب ود اليعاربة بزواجه من ابنة الامام السابق سيف بن سلطان وهي عادة كثيرا ما لجأ اليها الحكام لتقوية اواصر الصلة مع القبائل القوية . ونظم الادارة والجيش والبحرية، فتولى خميس بم سالم البوسعيدي على عسكر مسقط ومطرح ، وحسن الصرهنج على القوة البحرية والشيخ محمد بن عامر قاضيا في مسقط ورزيق بن بخيت مشرفا على الحسابات في الميناء . وعين خلفان بن محمد بن عبد الله البوسعيدي مشرفا ماليا عاما في مسقط « لقبض العشور والخراج الجائر والصدقات وانفاذ حكم قلمه (ماقرره في دفاتر المال) لقبض الدراهم من الوكلاء الذين اقعدهم الامام احمد على الفرضة الميناء(٤٠) .

امتاز حكم الامام احمد بالازدهار الاقتصادي ولكونه تاجرا ومالك سفن فقد اصبحت التجارة والقوة البحرية اسس السلطة الحاكمة في عمان . وقد بلغت وارداته السنوية من رسوم التجارة اكثر من مليون روبية وتطورت علاقات عمان التجارية مع جنوب العراق واليمن وساحل مالابار في الهند وشرق افريقيا ، بما في ذلك الحبشة وكان لتجار مسقط احتكار تجارة القهوة التي كانوا يجلبونها من الحبشة واليمن وازدهرت ايضا التجارة الداخلية وخاصة تجارة المواشي والجلود والعطور والادوية .

وقد اشاد الرحالة الدنماركي الشهير نيبور الذى زار مسقط سنة ١٧٦٥ بالازدهار الذى شهدته عمان في عهد الامام احمد واشار الى ثروة مسقط من الفواكه واللحوم والاسماك والى اهميتها التجارية الرئيسية كمركز بحرى تمر عبره جميع البضائع القادمة من الخليج العربي وفارس في طريقها الى حضر موت واليمن والحجاز والهند وبالعكس وقدم نيبور صورة مشرقة للامام احمد الذى انقذ البلاد بشجاعة نادرة من براثن الاحتلال الفارسي وقاد حركة وطنية صامدة متماسكة ضد القوات الدخيلة على البلاد ثم دأب على ازالة كل اثر للفساد الذى خلفه الامام السابق ، سيف بن سلطان اخر سلالة اليعاربة ، الذى اصاب الامة بالنكبات الجسام نتيجة ضعفه واطماعه وشهواته(٤١) .

وقد حاول الامام احمد تقوية صلاته مع القبائل العربية القاطنة في الاحواز والساحل الشرقي للخليج العربي ، فدخل في حلف مع قبائل كعب عند نهر الدجيل وشط العرب وفي حلف اخر مع قبائل المعين القاطنة قرب بندر عباس وقد نجحت هذه المحاولات نجاحا كبيرا واضعفت من حكم الشاه كريم خان الزند كما اضعفت من محاولات الفرس في السيطرة على مناطق الخليج العربي والتوغل في عمان . فرفض مطالبة كريم خان الزند بدفع الجزية والتي تنم عن عجزفة فارسية مقيته ووقف بقوة وصلابة ضد اطماعه وحدث صراع عنيف مع الفرس ارسل فيه الامام احمد اسطوله لمهاجمة كريم خان الزند في عام ١٧٧٠ ، واوقع خسائر فادحة بالفرس في هجوم اخر في عام ١٧٧٣(٤٢) .

وكان الامام احمد وهو المدرك للاطماع الفارسية في الخليج العربي قد تقدم باسطوله في شهر أب ١٧٧٥ ليشارك البصرة في قتالها ضد الفرس بعد أن استنجد اهل البصرة به سرا(٤٣) .

وضمت قواته ١٢ سفينة حربية حمولة كل منها (٥٠٠) مدفعا مع عدد من السفن الصغيرة وعشرة الاف جندى لفك الحصار عن البصرة

وتطهير منطقة شط العرب من الغزاة الفرس . وهاجمت القوات العمانية المواقع الفارسية بعد أن حطمت السلسلة التي وضعها الفرس لعرقلة تقدمهم ودمروا العديد من السفن الفارسية ويصف ابن رزيق مساعدة احمد بن سعيد للبصرة في دفاعها ضد الفرس بقوله :

« احاط العجم بالبصرة .. فحصروها حصرا شديدا .. ونصب العجم سلسلة طويلة من حديد على الشط .. جهز الامام عشرة مراكب كبارا من مراكب السلطنة ومن الخشب الصغار (نوع من السفن) كثيرا فكان عدد قومه الذين يمشهم لحرب العجم عشرة الاف . فلما بلغوا الى شط البصرة ورأوا السلسلة منصوبة عليه دفعوا عليها مركبه المسمى الرحماني فنطح السلسلة فقطعها وهبط العرب على العجم فوضفوا فيهم السيف فكشفوا العجم كشفا فظيعا وذادوهم عن البصرة . واستقر اهل البصرة بالبصرة ، ورجع اصحاب الامام .. الى مسقط »(٤٤) . وبذلك امنوا السيطرة على الشط ، الامر الذي ساهم في دعم صمود ودفاع البصرة ، الا أن الامام احمد انسحب بعد أن علم باحتمال قيام الفرس بتوجيه ضربة الى عمان نفسها . وقد اشاد السلطان العثماني عبد الحميد الاول ١٧٧٣ - ١٧٨٩) بالمعونة الفعالة التي قدمها العمانيون ومنح التجار العمانيين حرية التجارة في العراق ، ورفع الرسوم الكمركيه التي كانت قد ضمت على القهوة العمانية .

وبلغ نشاط الامام احمد حدا واسعا فأرسل ولاة عنه في سنة ١٧٥٠ الى ساحل افريقيا الشرقي لمباسا وكلوة وزنجبار وتمتعت عمان في عهده بعلاقات دولية طيبة ، وكان يتبادل الهدايا ويوقع الاتفاقيات مع امراء الهند ، وشركة الهند الشرقية الانكليزية ويحتفظ بعلاقات طيبة مع فرنسا ، والحاكم الفرنسي في مورسيوش ووكيل شركة الهند الشرقية الفرنسية في بغداد .

واخذ الامام احمد يميل في اواخر حكمه الى تعيين اولاده حكاما على المراكز المهمة في عمان مسبغا عليهم القاب « السادة والامراء » ، الامر الذي ادى الى اضعاف دولته ، وقد شاهد احمد بنفسه الاثار السلبية لهذه السياسة حيث اضطر عدة مرات للتدخل لاحلال السلام بين انجاله احيانا والدفاع عن نفسه ضد تكتل عسكرى خلقه اولاده ضده احيانا اخرى ففي سنة ١٧٨١ قام ولده سيف بثورة واسعة النطاق وقد انضم اخوه سلطان اليه ضد ابيهما واختطفوا اخيهما سعيد الذى كان مرشحا للامامة . وقد انتهت هذه الثورة بمصالحة عامة توسط فيها قضاة عمان وقد توفي الامام احمد ، كما كتب على قبره في الرستاق في (١٩ محرم على ١١٩٨ هـ) الموافق (١٥ كانون الاول عام ١٧٨٣ م) .

انتخب ابنه سعيد بن احمد (١٧٨٣ ـ ١٨٠٣) اماما طبقا لما هو معمول به ويقال بانه لم ينتخب ورث اللقب دون مبايعة وحتى دون اعتراف له من احد(٤٥) وكان شخصا محدود القابلية . وقد وصفه مايلز بأنه « رجلا ضعيفا لا خطر له » وصارت البلاد في حالة ضعف لان ادارته لم تكن قوية (٤٦) ، لكن ابن زريق يذكر خلاف ذلك فيصفه بانه «شجاعا شهيرا فصيح اللسان ناظما للشعر .. اظهر العدل للرعية .. وهابه اهل عمان هيبة عظيمة»(٤٧) . تولي الامور السياسية عنه ابنه حمد(١٧٨٤ ـ ١٧٩٢) الذي تعرض لمعارضة قوية من اعمامه سيف وسلطان .

امتاز حكم حمد بالازدهار الاقتصادى واصبحت عمان اغنى منطقة في الخليج العربي والمحيط الهندى وبنى حمد اسطولا تجاريا لنقل البضائع بين زنجبار ومسقط وقد وصف تقرير للمقيمية الانكليزية في البصرة مؤرخ في (١٥ أب ١٧٩٠) ازدهار عمان الاقتصادى بقوله :

« أن مسقط سوق لقسم كبير من التجارة بين الخليج العربي والهند، وتلك فائدة تدين بها لنشاط حكامها وعدالتهم وان لها اسطولا مرموقا

وتجارها يبنون لانفسهم في نواح متعددة من بلاد الهند انواعا مختلفة من السفن ذات الاشرعة المربعة القادرة على الحمولة الضخمة وغدا ميناء مسقط مرسى ترتاده الدول الاوربية والتجارة منبع خصب للثروة قلما ينضب لهذا جعلت من مسقط ميناء بحريا اكثر ثراء وازدهارا من اى ميناء اخر واقع على الخليج » (٤٨) .

قام حمد بنقل العاصمة من الرستاق الى مسقط لاول مرة في تاريخ الامامة العمانية وكان هدفه ابعاد العاصمة من تحكم القبائل العمانية القوية التي تلتف حول الامام ، كما يمكن استعمال الاسطول في الدفاع عنها . وكان حمد بن سعيد يجبذ وراثة الامام في البوسعيد ولايؤمن بالانتخاب كما كان جاريا وطالما صرح بذلك امام اتباعه الا أن مبدأ الوراثة كان يلاقي مقاومة عنيفة من معظم الشعب العماني وخاصة الهناوية والغافرية الذين يؤمنون بانتخاب الامام ، لكن حمد توفي في مسقط عام ١٧٩٢ من جراء اصابته بالجدرى(٤٩) .

بعد وفاة حمد تركز الامر في عمان حول شخصين اثنين فقط هما سعيد وسلطان ابني الامام احمد . وقد بقي الامام سعيد مقيما في العاصمة الدينية الرستاق والاحتفاظ بلقب الامامة التي بدأت تفقد الكثير من سلطتها الروحية لصالح السلطة الزمنية . وزاد من ضيقه مركز سعيد انقطاعه في مركزه البعيد في حصن الرستاق الذى صار له سجنا اكثر منه حصنا (٥٠) ، وقد استطاع اخاه سلطان بن احمد (١٧٩٢ ـ ١٨٠٤)أن يستولي على السلطة السياسية ويذكر ولسن خطأ بأن سلطان قام بثورة ضد عمه السيد حمد الامام الاسمي . وبالنجاح الذى حققه من خلال تلك الثورة تمكن من السيطرة على مسقط وساحل الباطنه ثم اعلن نفسه حاكما مستقلا ولقب نفسه بالسيد سلطان . وتخلى عن لقب الامامة مخرجا السلطة السياسية في عمان من محتواها الديني، وحكم هو ومن بعده كحكام علمانيين(٥١) .

وكان سلطان بن احمد شخصية شجاعة ومهابة . وقد امتازت الفترة الاولى من حكمه (١٧٩٢ ـ ١٨٠٠) بالنشاطات العسكرية الواسعة التي مثلت اعلى درجات سلطة البوسعيد وهيبتها . أما الفترة الثانية (١٨٠٠ ـ ١٨٠٤) فقد شهدت جهودا عظيمة من قبل سلطان لصد غارات القبائل السعودية والقواسم على عمان ، الاولى من الغرب والثانية من الشمال . فقد ارسل سلطان في عام ١٧٩٣ حملة استعادت ميناء جوادر القريب من بندر عباس وعين عليه حاكما من قبله . واستطاع الاستيلاء على جاسك وقاد بنفسه حملة بحرية قوية في عام ١٧٩٤ ضد قبائل المعين في جزيرتي قشم وهرمز وسيطر على جزيرة هنجام ، وهاجم البحرين عدة مرات وارغم البتوب على دفع الضرائب له ، وقام باحتلالها سنة ١٨٠٠ وعين ابنه (سالم) حاكما عليها لكن حكمه لم يستمر طويلا حيث استطاع القواسم اخراجه من البحرين(٥٢) .

كان عمل سلطان الكبير تحرير بندر عباس من السيطرة الفارسية فضلا عن الموانيء والمدن القريبة منها على الساحل الشرقي من الخليج العربي ، وقد ادى هذا النجاح الى دفع هذه المدن والموانيء الايجار السنوى الذى يزيد على اربعة الاف روبية الى حكومة عمان . وقد حاول الفرس رد الهجوم العماني لكنهم فشلوا في ذلك وارغموا في عام ١٧٩٧ على الاعتراف رسميا بالادارة العربية التي اقيمت في بندر عباس وملحقاته والجزر المجاورة . وهكذا نجح العرب في تحرير هذه المناطق وانتزاعها من الفرس واصبحوا سادة الساحل الشرقي ، يدل على ذلك المعاهدة التي وقعها سلطان مع الانكليز . الامر الذى يؤكد سيطرة العرب على المنطقة وتصرفهم تصرف المالك المستقل(٥٣) .

اخذ الانكليز والفرنسيون يترددون الى سلطان بن احمد الذى اصبح الشخصية القوية في منطقة الخليج العربي الا أن سلطان ابتعد عن التورط في

الصراع بين الدولتين ورفض السماح للاوربيين بانشاء مراكز تجارية لهم في مسقط وفي عام ١٧٩٦ بدأ الانكليز بالضغط على سلطان بن احمد متذرعين بالخوف من تنازل مسقط على حيادها بالصراع بين الانكليز والفرنسيين وبخاصة بعد زيارة بعض الفرنسيين لمسقط وهم في طريقهم الى فارس والمشرق ، ولهذا اوفد حاكم بومباى رسولا الى سلطان بن احمد يطلب ايضاح موقفه من كل من شركة الهند الشرقية والفرنسيين وكان رد سلطان بن احمد ايجابيا الامر الذى شجع الانكليز الى عقد اتفاقية مع عمان عام ١٧٩٨ تعهد سلطان بموجبها بتأييد الحكومة البريطانية في القضايا الدولية والامتناع عن اعطاء اية امتيازات تجارية في ممتلكاته الى الفرنسيين أو الهولنديين طالما استمرت حالة الحرب وباقصاء اى موظف تابع لفرنسا من خدمته وباستبعاد السفن الفرنسية التي اتخذت من مسقط قاعدة لها وتضمنت المادة السابعة من الاتفاقية السماح للانكليز بابقاء حامية عسكرية وانشاء وكالة تجارية في بندر عباس وقد رفض سلطان بن احمد رفضا قاطعا السماح باقامة مركز بريطاني في مسقط لان ذلك حسب اعتقاده سوف يورطه في حرب مع الفرنسيين والهولنديين .

وقد حاولت فرنسا اقامة علاقات متطورة مع عمان وبخاصة بعد احتلال نابليون لمصر ففي كانون الثاني عام ١٧٩٩ ارسل نابليون لخطايا الى سلطان بن احمد يبلغه فيه بأن أى سفن تصل الى السويس سوف تلقى كل تسهيل ومساعدة ولكن عملاء شركة الهند الشرقية تمكنوا من مصادرة الخطاب وارساله الى بومباى مما جدد الشكوك حول انتهاك سلطان بن احمد للاتفاقية التي وقعها مع البريطانيين واستمراره في استخدام الفرنسيين في بلاطه ، الامر الذى ادى الى ارسال الكابتن (السير فيما بعد جون مالكولم من التوقيع على اتفاقية جديدة تعزز اتفاقية عام ١٧٩٨ وقد

وافق سلطان بن احمد على تعيين معتمد سياسي بريطاني في مسقط وتوقيع اتفاقية جديدة عام ١٨٠٠ (٥٤) .

قام سلطان باداء فريضة الحج عام ١٨٠٣ وقد لقي حتفه في العام التالي بعد رجوعه من حملة قادها في شمال الخليج العربي وذلك اثناء اشتباكه مع بعض المتمردين في لنجة الذين شهدوا لشجاعته النادرة في الحرب . وقد دفن بالقرب من بندر عباس وترك سلطان ولديه سالم البالغ من العمر خمسة عشر عاما ، وسعيد البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما ، الامر الذى ادى الى اندلاع صراع عائلي جديد (١٨٠٤ ـ ١٨٠٦) كانت نهايته تولي سعيد السلطة في عمان .

أمتاز سعيد بن سلطان (١٨٠٦ ـ ١٨٥٦) بشخصية قوية واراده صلبة وأفق واسع وادراك سليم للامور ، جعله بين الفريدين والافذاذ في تاريخ شرق الجزيرة العربية وشرق افريقيا وقد وصفه فريزر الذى زار مسقط عام ١٨٢١ بقوله:

« للامام شخصية قوية جذابة ولكنها بعيدة كل البعد عن القسوة والصرامة فملامحه بشوشه هادئة وسلوكه رقيق ورصين » (٥٥) .

جاء سعيد الى السلطة والاحوال الداخلية في عمان مضطربة وذلك من جراء الضغط العسكرى المستمر من الشمال من الخليج العربي . وفي الداخل كان آل سعود اكثر خطرا على عمان من القواسم وقد احتل الوهابيون مسقط مرارا ، واجبروا سعيدا في كل مرة على مضاعفة الضرائب وقد قضى سعيد عشرين عاما وهو في صراع عسكرى ودبلوماسي مع معارضيه ومنافسيه ، ولم يتخلص من الخطر السعودي حتى في فترة الحرب التي اشتعلت بين جيوش محمد علي باشا ، حاكم مصر ، وزعماء آل سعود وان كانت قد خفت حدة الهجمات على مسقط وضواحيها . واستطاع سعيد أن يصبح السيد المطاع في بلاده ، ولم يعد ينازعه على

السلطة احد ، وان يوجد عمان بشكل لم تعرفه البلاد من قبل . وتتويجا لهذه الانتصارات ودلالة على اطمئنانه وثقته بقوته ونفوذه ذهب الى مكة في عام ١٨١٤ لاداء فريضة الحج .

ابدى سعيد بن سلطان نشاطا ملحوظا في منطقة الخليج العربي ، فارسل في شهر تموز عام ١٨٢٦ سفنه لمحاصرة بوشهر ، ولكنه وبناء على نصيحه من المقيم الانكليزى لم يهاجم المدينة . وقد استطاع أن يأسر والي الجزيرة الفارسي وهو في طريقه في البحر الى بلاده وظل في أسره عدة اشهر . وقاد اسطوله في شهر تشرين الثاني من عام ١٨٢٨ الى البحرين بهدف الاستيلاء عليها ، وقد اخفق الهجوم واصيب سعيد نفسه في جرح اثناء المعركة ، واضطر في العودة الى مسقط . وفي عام ١٨٣٩ أرسل سعيد جيشا الى ظفار استطاع الاستيلاء عليها وضمها الى املاك سلطنته (٥٦) .

ورافق نشاط سعيد بن سلطان في الخليج نشاطا متميزا في سواحل افريقيا الشرقية لتأكيد السيادة العربية عليها ، فقاد اسطوله في عام ١٨٢٨ الى ممباسا لرفض حكامها من آل المزروعي الاستسلام له . وقد جرت مفاوضات بين الجانبين ادت الى الاتفاق في كانون الثاني عام ١٨٢٨ على سيطرة السيد سعيد على ممباسا وحصوله على نصف دخلها ، مقابل الاعتراف بسالم المزروعي حاكما عليها ، على أن تبقى قلعتها بأيدى المزروعيين ، مع السماح لخمسين جنديا عمانيا بالمرابطة فيها . وخلال حملة السيد سعيد على ممباسا اعجب جدا بجزيرة زنجبار التي اصبحت الدعامة الكبرى في مشروعاته الافريقية والواقع أن هذه الجزيرة كانت تفوق المراكز الاخرى في نقاط كثيرة فهي ذات موقع متوسط بين موانيء شرق افريقيا ، وقد حقق لها هذا الموقع مركزا اقتصاديا مهما فضلا عن انها اكثر امنا من اية نقطة على الساحل ، وذات طقس معتدل ، واراضيها خصبة ولها ميناء كبير صالح للملاحة وبها اعذب مياه في شرق افريقيا على حد قول السيد سعيد نفسه (٥٧) .

بدأ السيد سعيد يطيل إقامته في زنجبار حيث جعلها مقرا لحكمه منذ عام ١٨٤٠ ، ولعل الدافع الاقتصادى هو الذي دفعه الى الاقامة في زنجبار لانه ليس هناك مكان اخر في ممتلكاته اكثر ملائمة لتنفيذ سياسته الاقتصادية من زنجبار(٥٨) ، علاوة على ذلك سياسة السيد سعيد الرامية الى تدعيم ممتلكاته الجديدة في افريقيا ، الا أن نقل العاصمة من مسقط الى زنجبار كان امرا خطيرا لان المسافة بين العاصمتين تبلغ نحو (٢٥٠٠) ميل ، هذا بالاضافة الى أن القوارب تستطيع الوصول من عمان الى زنجبار اثناء هبوب الرياح الموسمية فقط • وقلل من خطورة هذا الامر امتلاك السيد سعيد اسطولا عسكريا وصف بأنه كان اقوى اسطول تمتلكه دولة في ذلك الوقت من اليابان حتى رأس الرجاء الصالح • وبلغ من سلطة السيد سعيد في افريقيا أن قيل فيه (اذا ضرب السيد سعيد طبلة في زنجبار رقصت عليها كل غابات افريقيا) • ويضيف كيلي الى ذلك القول :

(اصبحت مسقط عن طريق جرأة اسرة البوسعيد الدولة البحرية الاولى في شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر ، والمركز التجارى العظيم بين سواحل الخليج العربي والهند وافريقيا والبحر الاحمر) (٥٩).

وقد كان السيد سعيد فضلا عن كونه سلطانا ورجل سياسة ، تاجرا ماهرا نظم تجارة بلاده مع العالم الخارجي ، وكان يملك اسطولا تجاريا ضخما يحمل منتجات زنجبار وسمباسا وكلوة ومقديشو الى الموانىء الاسيوية والافريقية • وقد عقد عدة معاهدات تجارة وصداقة مع الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا والبرتغال واسبانيا ، الا انه كان حليفا قويا لحكومة الهند البريطانية وللحكومة البريطانية في لندن • وكان في اكثر الاحيان تابعا لسياستها ، وخاصة في علاقاته مع فرنسا • وكان هدف بريطانيا خدمة المصالح البريطانية ، وصيانة هدوء الخليج العربي ، والتعاون ضد اى طرف يعادى النشاط البريطاني ، وقد اعلن بالمرستون ، وزير

خارجية بريطانيا ، أن مهمة حكومته وضع الخليج العربي تحت السيطرة البريطانية ، بعيدا عن نفوذ اية دولة اخرى تستطيع أن تهدد سيطرة بريطانيا عليه .

ادى تطور العلاقة بين بريطانيا وعمان ، والجهود التي بذلها العقيد هنيل المقيم البريطاني في الخليج العربي لاقناع حكومته بارضاء السيد سعيد الى عقد معاهدة عام ١٨٣٩ تضمنت حرية التجارة والاقامة ونقل البضائع والدخول ، وعدم فرض ضرائب تزيد على ٥٪ على البضائع والغلات البريطانية المستوردة على سفن بريطانيا ومساعدة السفن عند تعرضها لمأزق خطر . وفي عام ١٨٤٠ تم الاتفاق على تعيين الكابتن انكتز همرتون Hamerton ليكون ممثلا لشركة الهند ولوزارة الخارجية البريطانية وبعد ست سنين وقعت معاهدة اخرى في عام ١٨٤٥ تعهد فيها سعيد بأن يمنع كل تصدير للرقيق من املاكه الافريقية ، أو استيراد الرقيق ذوى الاصل الافريقي الى ممتلكاته الاسيوية (٦٠)، وبلغت علاقات السيد سعيد مع بريطانيا درجة من القوة بحيث تنازل في عام ١٨٥٤ عن جزائر كوريا موريا في البحر العربي هدية الى الملكة فكتوريا في عيد ميلادها . ويرجع اهتمام بريطانيا بهذه الجزر الى وجود سماد الجوانو Guano وجاء في التنازل عن الجزر قول السيد سعيد :

« فانني امنح لحكومة صاحبة الجلالة الملكة فكتوريا تلك الجزر السابقة ولاولادها من بعدها بصفة مطلقة ، وذلك بناء على رغبتي التامة ، وبدون اى ضغط أو تهديد وليكن ذلك معلوما لكل من يطلع على هذه الوثيقة » (٦١) .

وهناك من يرى بانه كان يهدف من وراء التنازل الى نيل المساعدة من الحكومة البريطانية في حربه ضد الفرس الذين قاموا بالاستيلاء على بندر عباس في تلك السنة الا انها لم تقدم اية مساعدة بل على العكس كانت تهتم بصداقة الفرس ، حتى لايقفوا مع الروس .

أما علاقته مع الولايات المتحدة فترجع الى النشاط التجارى العمانى الواسع فقد وصلت احد سفن السيد سعيد ، وهي (سلطانة) الى نيويورك بقيادة ملاح عماني اسمه (نعمان) وكانت هذه اول سفينة عربية تصل الى هذا الميناء واعقب ذلك ازدياد الاتصالات مع الولايات المتحدة ففي خريف عام ١٨٣٣ زار الطراد الامريكي (بيكوك) مسقط وعلى ظهره ادموند روبرتس Edmand Roberts ، التاجر المغامر الذى خول بعقد اتفاقيات مع القوى الموجودة في المحيط الهندى والبحر الاحمر واليابان ؛ وقد كانت هذه الزيارة حدثا علي جانب كبير من الاهمية في حياة السيد سعيد ، لانها اظهرت اهمية مسقط وزنجبار ليس للعالم القديم فحسب وانما العالم الجديد كمركزين تجاريين • وقد اثمرت زيارة روبرتس في توقيع معاهدة صداقة وتجارة مع الولايات المتحدة في عام ١٨٣٣ تضمنت أن يكون هناك سلام دائم بين الطرفين وان يحصل رسم مقداره ٥٪ من السفن الامريكية مهما كانت الحمولة . ويجب تقديم المساعدة للسفن الامريكية التي تتحطم أو تتعرض للخراب في السواحل العمانية أو زنجبار • وقد ادت هذه المعاهدة الى ازدياد حجم التبادل التجارى بين البلدين ، واصبحت البضائع القطنية الامريكية المستوردة من بوسطن منتشرة في اواسط افريقيا (٦٢) •

توفى السيد سعيد عام ١٨٥٦ وهو على مقربة من جزيرة سيشل في المحيط الهندى وكان في طريقه الى زنجبار • وقد بلغت ممتلكات دولة البوسعيد اقصى توسع لها في السنوات الاخيرة من حكمه ، فقد كانت تمتد في اقليم عمان من رأس مسندم الى صحار ، واجزاء من السواحل الشرقية للخليج العربي وامتد نفوذها الى البحرين وعدن وغيرها • أما ممتلكاتها الافريقية فشملت الساحل الشرقي كله تقريبا ، وبعض المناطق الداخلية •

بعد وفاة السيد سعيد تنازع ولداه ثويني وماجد الحكم من بعده . وقد اتفق الطرفان بواسطة اللورد كانج Canning . الحاكم العام للهند ، في عام ١٨٦١ على تقسيم السلطة فطبقا للتحكيم تم اقرار السيد ماجد حاكما على زنجبار والممتلكات الافريقية الاخرى ، على أن يدفع لاخيه ثويني (٤٠) الف روبية سنويا(٦٣) ، وهكذا اصبحت العلاقة بين زنجبار ومسقط علاقة مالية فقط . ولاشك أن بريطانيا كانت تهدف من وراء تقسيم دولة البو سعيد الى السيطرة على اقليمي الدولة . وقد تمكنت في النهاية من أن تتحكم في كل من سلطان مسقط لكون ممتلكاته واقعة في منطقة نفوذها في الخليج العربي ، وسلطان زنجبار لمالها من فضل عليه في الاحتفاظ له بملكه من اطماع المنافسين له(٦٤) .

وفي مسقط فبعد وفاة ثويني ظهر الصراع بين سلاطين وائمة عمان، فقد تنازع الحكم سالم بن ثويني وعزان بن قيس زعيم العمانيين الذى استولى على مسقط عام ١٨٦٩ وارغم سالم على الفرار ، ولكن الحكومة البريطانية لم تعترف بعزان بل اتخذت خطوات لتقويض سلطته وانهاء عهده فمهدت الطريق لتركي بن سعيد لتسلم السلطة في عام ١٨٧٢ وبعد وفاته في عام ١٨٨٨ خلفه ابنه فيصل الذى نال اعتراف بريطانيا على الفور ، وفي عهده اعلنت بريطانيا حمايتها على مسقط . وتوفي فيصل في عام ١٩١٣ وخلفه ابنه تيمور (١٩١٣ ـ ١٩٣٢) ثم ابنه سعيد (١٩٣٢ ـ ١٩٧١) . وبعده قابوس ، وهكذا تواصل حكم البوسعيد في عمان .

وفي زنجبار توفي ماجد عام ١٨٧٠ وخلفه اخوه برغش الذى بدأت في عهده حركة الاستعمار الاوربي والتبشير الاستعمارى ، وبدأ التنافس للقضاء على الحكم العربي في شرق افريقيا وقد تمكن الاوربيون من انتزاع الاملاك العربية الواحدة بعد الاخرى ولم يبق من الاملاك العربية عندما

توفي برغش في عام ٨٨٨ غير زنجبار وممباسا و دار السلام وفي عهد خليفة بن سعيد فرضت بريطانيا حمايتها على زنجبار ، واستمر الحكم العربي تحت الحماية البريطانية حتى كانون الاول عام ١٩٦٣ حيث اعلنت زنجبار مملكة مستقلة وعلى رأسها عبد الله بن خليفة بن حارب بن ثويني، وبعد الاستقلال بخمسة اسابيع اطيح بالحكم العربي في اوائل عام ١٩٦٤ وبذلك انتهى اخر معقل للعرب في شرق افريقيا .

ثالثا ـ العرب في بندر ريق والساحل الشرقي :

ادى ازدهار القوى العربية في الساحل الغربي للخليج العربي الى انتعاش مقابل للقوى العربية المحلية على طول الساحل الشرقي ، ويمكن تحديد ثلاثة تجمعات قبلية عربية كانت ترسم الخريطة السياسية للساحل الشرقي من الخليج العربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهؤلاء هم عرب برشهر ؛ وحاكمهم انذاك الشيخ نصر ال مذكور ، وهم من عرب المطاريش العمانيين ، ثم عرب بندر ريق النازلون الى الشمال من بوشهر ، وهم ينتمون الى بني صعب من الساحل العماني ، وكانوا يحكمون علاوة على ذلك جزيرة خرج . كذلك ظهرت قبائل عربية اخرى في ميناء لنجة وجزيرة سيرى القريبة منه . ثم هناك عرب بنو كعب ومركزهم الدورق . وفضلا عن تلك القوى القبلية الثلاث كان هناك عرب الحولة (أو الهولة)، وكان بامكانهم كما يقول نيبور ـ السيطرة على منطقة الخليج العربي كلها لو كانوا متحدين غير أن انقسامهم الى مشايخ مستقلة حال دون ذلك (٦٥) .

ويمكن القول أن القرن الثامن عشر ، شهد ظهور حكم عربي مستقر على السواحل الشرقية نتيجة لعاملين ساسيين هما :

١ ـ ارتباط بعض جزر وموانيء السواحل الجنوبية الشرقية بالحكم العربي في عمان .

٢ ـ ظهور اسر عربية مستقلة حكمت بعض جزر وموانيء الساحل الشرقي .

وقد اكد الكثير من الباحثين والرحالة اهمية الدور العربي على الساحل الشرقي وقد شهد نيبور الذى زار المنطقة خلال الفترة (١٧٦٣ ـ ١٧٦٥ مدى النفوذ الذى وصل اليه عرب الخليج وسيادتهم على سواحله جميعا مما دفع به الى التأكيد بأن العرب هم الذين يمتلكون سواحله ، بما في ذلك سواحله الشرقية ، وان ملوك الفرس لم يتمكنوا من منازعة العرب هذه السيادة وانهم متحملين على مضض بقاء السواحل الشرقية ملكا للعرب ، ويذكر كيلي أن جميع الجزر الباقية على الساحل الشرقي من خاركو وخرج شمالا الى هرمز ولارك جنوبا تحت سيطرة القبائل العربية فلقد كان العرب يسيطرون على اغلب موانيء الساحل وكل ميناء يخضع لسلطة احد المشايخ الذى يتم انتخابه من جانب القبيلة التي تعد مسؤولة عن حمايته .. وقد تعرضوا الى ضغط مستمر من قبل الفرس وبخاصة في عهد نادر شاه الذى لم يفلح في اخضاع الساحل العربي على الرغم من الاسطول الذى انشأه لتحقيق ذلك الهدف(٦٦) . وفي اواخر حكمه صمم على تهجير سكان الساحل الى شواطيء بحر قزوين واستبدالهم بقبائل من تلك المنطقة غير أن هذا المشروع لم ير النور بسبب وفاته .

واشتهرت من القبائل العربية في الساحل الشرقي قبيلة بني ناصر وهي فرع من قبيلة المطاريش في بوشهر وهي قبيلة نزحت اصلا من عمان في اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر وكانت هذه القبيلة كغيرها من القبائل الساحلية تستمد من البحر ومن اساطيلها التجارية وبخاصة أن مدينة بوشهر قد حققت ازدهارا ملحوظا بعد تدهور

وضع بندر عباس ، الميناء الرئيسي على الساحل الشرقي من الخليج العربي .وبسبب نقل مقر شركة الهند الشرقية الى بوشهر في عام ١٧٦٣ . ولم يكن سكان بوشهر في ذلك الوقت يزيد على (١٠) الاف نسمة ، على الرغم من أن ابراهام بارسونز P arsons وهو الرحالة الانكليزي الذي زار الشرق يقدر عددهم بعشرين الفا في عام ١٧٧٥ ؛ وكان الشيخ ناصر ابرز شخصية في القبيلة حكمت بوشهر وظل كذلك حتى وفاته عام ١٧٨٩ (٦٧) .

أما بندر ريق الواقعة في الجزء الشمالي من الخليج العربي فانها تقع على بعد (٣١) ميلا الى الشمال الغربي من مدينة بوشهر ، و (٥٦) ميلا الى الشرق من الكويت فانها مدينة قديمة جدا وميناء مهم للتجارة والمواصلات في المنطقة وسكانها العرب من قبيلة صعب العمانية الذين استطاعوا اقامة امارة عربية ضمت علاوة على بندر ريق جزيرة خرج ، التي وصفت بانها ذات اهمية تجارية وستراتيجية في منطقة الخليج العربي، وتبعد عن بندر ريق حوالي (٢٣) ميلا و (٣٥) ميلا الى الشمال الغربي من بوشهر . ووصفت جزيرة خرج بانها جرداء لايزيد عدد سكانها على المائه من صيادي الاسماك (٦٨) .

اظهر الهولنديون اهتماما بجزيرة خرج ، وخاصة بعد اضطرارهم في عام ١٧٥٠ الى التخلي عن ميناء بندر عباس نتيجة لاضطراب الاحوال فيه، ثم رحيلهم الى البصرة الا أن الوجود الهولندي في البصرة لم يستمر طويلا فقد اغلقت المقيمية الهولندية في عام ١٧٥٢ على اثر النزاع الذي نشب بين الباروت كينفها وزن (٩٦) ، ممثل شركة الهند الشرقية الهولندية وبعض تجار البصرة ، الامر الذي ادى الى طرده من البصرة . وفي طريقه من البصرة جلبت جزيرة خرج انتباهه . ونجح كينفهب وزن في الحصول على موافقة الامير ناصر ، حاكم الجزيرة في قيام الهولنديين

بتأسيس مقر تجاري لهم لقاء اجر سنوي معين . وفي بأتافيا حيث المقر الرئيس لشركة الهند الشرقية الهولندية في الشرق ، نجح كينفهاوزن في اقناع رؤوسائه في صلاحية الجزيرة لخدمة المصالح الهولندية(٧٠) .

وصل اسطول هولندي قوي الى الخليج في اواخر عام ١٧٥٣ ، وعليه عدد كبير من الرجال وكميات كبيرة من الذخيرة . وتدل ضخامة الاسطول على أن الهولنديين لاينوون تأسيس مقر تجاري لهم فحسب وانما يرمون احتلالها وتحصينها وقد وصفت الجزيرة بانها محصنة تحصينا منيعا وهناك اسطول قوي يرابط لحمايتها مؤلف من سفينة واحدة صغيرة بها (١٠) مدافع على عربات ، (٦) مدافع تتحرك دائريا على محور ، وزورق أخر يحمل (٦) مدافع عيار أربعة ارطال و (٤) مدافع متحركة(٧١) .

أما القوات فتتألف من ضباط وجنود اوربيين وافارقة . وقد وفر الهولنديون لهؤلاء الافارقة مايكفيهم من الطعام واللباس والحاجيات الاخرى . ولم يقتنع كينفهاوزن بذلك بل دفعه خياله الى محاولة اجلاء السكان العرب من الجزيرة ، وجلب المستوطنين وكمرحلة اولى تقرر جلب ثمانين عائلة آسيوية (٧٢) .

اثار الوجود الهولندي في خرج الانكليز الذين سعو للحصول على مركز لهم في بندر ريق وقد وافق الشيخ ناصر على الطلب البريطاني.وعين فرنسيس وود Wood الوكيل السابق في بندر عباس مقيما عاما في بندر ريق . وقد ادى تزايد النفوذ الاجنبي في الامارة الى حدوث تطورات داخلية . فقد اتهم الشيخ ناصر بانه السبب في الاحتلال الهولندى لجزيرة خرج خاصة وان الهولنديين رفضوا دفع الايجار السنوي المتفق عليه الامر الذى ادى الى حدوث ثورة انتهت باغتيال الشيخ ناصر في عام ١٧٥٤ ، وتولي ابنه مهنا الحكم ، الا انه لم يستمر طويلا فقد خلع في

بداية عام ١٧٥٥ من اخيه حسين ، الا أن الامير مهنا تمكن في العام التالي من الاطاحة بحكم اخيه وتولى حكم الامارة (٧٣) .

وخلال تلك الفترة المضطربة وصل وود Wood الى بندر ريق في حزيران ١٧٥٥ واستقبل بحفاوه من الامير حسين واتخذ الخطوات الضرورية لتأسيس المستعمرة الانكليزية في الميناء ولم يكد يستقر حتى تطرق الى سمعه بوجود مؤامرة يحيكها الامير مهنا ضد اخيه الامير حسين ، فغادر الى البصرة دون أن يخبر الامير حسين بما تطرق الى سمعه ، تاركا الحرس لحماية الممتلكات الانكليزية والابقاء على العلم الانكليزى مرفوعا على مبنى الشركة ، وعندما عاد وود الى بندر ريق في تموز ١٧٥٦ وجد الحاكم الجديد الامير مهنا قد هدم مبنى الشركة وانزل العلم الانكليزى(٧٤) ، وفي (٦ تشرين الثاني ١٧٥٦) طلب الامير مهنا من وود مغادرة الميناء خلال نصف ساعة فهرع وود ومن معه الى ظهر احدى السفن الانكليزية التي كانت راسية في الميناء(٧٤) . وهكذا منيت مشاريع الشركة في بندر ريق بالفشل الذريع .

كان تولي الامير مهنا للحكم في بندر ريق بداية النهاية للنفوذ الاجنبي فبعد طرد الانكليز من بندر ريق توجه مهنا الى تصفية الوجود الهولندى في جزيرة خرج ومقاومة محاولات كريم خان الزند للسيطرة على الجزيرة والامارة معا . فقد اشتبك الامير مهنا بصراع طويل ومرير مع الهولنديين انتهى بانتصاره انتصارا حاسما ففي (٢٠ آذار ١٧٦٢) ارسل مهنا مائتين من رجاله لمهاجمة الجزيرة ونجح في اسر غلافتين من غلافات الهولنديين ولكن هجومه على القلعة لم يكلل بالنجاح وفي صيف العام نفسه حاصرت غلافات الامير مهنا الجزيرة وقطعت مواصلاتها مع الخارج واستمر الصراع بعد ذلك ويلقي نيبور Neibure باللوم على الحاكم الهولندى فرن هاوتنك Hawting لانه كان جاهلا بطباع العرب .

واقحم نفسه بالصراع القائم بين الامير مهنا وشيخ بوشهر فساعد الاخير وهاجم الاول (٧٦) .

حقق الامير مهنا نجاحات مهمة ضد الهولنديين في عام ١٧٦٥ ولم يتباطأ في متابعة نجاحه وتمكن من انزال قوة عسكرية في جزيرة خرج قدرت بـ (٥٠٠) مقاتل وتطويق القوات الهولندية التي تبلغ حوالي مائتي شخص ، حوالي منتصف ليلة (٢١ كانون الاول ١٧٦٥) وبعد حصار دام(٩) ايام استطاع المقاتلون العرب تسلق اسوار القلعة الهولندية والاستيلاء على احد الابراج . وفي اليوم الاول من شهر كانون الثاني ١٧٦٦، استسلم حراس القلعة ، وجرى بعد ذلك مغادرة الهولنديين للجزيرة بموجب اتفاق الاستسلام الذي توصل اليه الحاكم الهولندي ماينهر خان هوتنج بمشورة وكيله الفارسي السري ، مع الشيخ مهنا ويذكر بارسونز (أن الامير مهنا احتل القلعة وجرد الهولنديين من كل ما يملكون وارغمهم على الرحيل في سفينة هولندية . وانه جرد السفينة من جميع اسلحتها ، وعلاوة على حصوله على الجزيرة استولى على كمية كبيرة من الغنائم والاموال التابعة لشركة الهند الشرقية الهولندية (٧٧) . وهكذا قضي على الوجود الهولندي في الخليج العربي بصورة نهائية .

وخلال فترة الصراع العربي ـ الهولندي ، حاول الفرس تقويض الحكم العربي في الامارة بالتعاون تارة مع الهولنديين وتارة اخرى مع الانكليز ، وبغية ايجاد مبرر لذلك طلب الحاكم الفارسي كريم خان الزند من الشيخ مهنا سنة ١٧٦٤ دفع الجزية له بصورة رسمية فرفض الشيخ مهنا عندئذ اعلن كريم خان الزند الحرب عليه وارسل قوة عسكرية قدر تعدادها بـ (١١٠٠) فارس و (٥٠٠) راجل لتتولى العمليات البرية ضد امارة بندر ريق ، وتعاون كريم خان مع الهولنديين والانكليز لتحقيق هدفه ، فمنح الانكليز امتيازات تتضمن الترخيص لهم في اقامة

وكالة في بوشهر وإعفاء تجارتهم من رسوم الاستيراد والتصدير الداخلية وحق إحتكار توريد الصوف ، وفي مقابل ذلك تعهد الانكليز بمساعدة كريم خان ضد عرب الامارة ووضعوا اسطولهم في خدمة اطماعه التوسعية ، وقام الطرفان بعمل عسكرى مشترك في عام ١٧٦٥ ضد امارة بندر ريق لكن حملتهما العسكرية انتهت بالفشل الذريع في تموز ١٧٦٥ .

وبعد الانتصار العربي على الهولنديين في خرج ، استمر التعاون الفارسي الانكليزى ضد الامير مهنا الذى اصبح قوة كبيرة في شمال الخليج العربي ، وعقد اتفاق بين الطرفين تضمن مايأتي : ـ

« يتعهد الوكيل (كريم خان) في حالة اخذ جزيرة خرج والقبض على الشيخ مهنا أو قتله أو كسر شوكته بواسطة الانكليز أن يعطي لهم جميع اسلحة ومراكب مهنا ونصف الغنيمة ويتخلى لهم وللابد عن كامل ملك وسلطة جزيرة خرج » (٧٨) .

وفي ضوء هذا الاتفاق قام الاسطول الانكليزى في شهر مايس ١٧٦٨ بشن هجوم على جزيرة خرج ، الا أن القوات العربية المدافعة عن الجزيرة استطاعت درء الهجوم الانكليزى والاستيلاء على احدى سفنه . وبعد فشل الهجوم الانكليزى ، بدأ الانكليز والفرس التخطيط للتخلص من الشيخ مهنا عن طريق اثارة الاضطرابات في داخل الامارة ، وفي كانون الثاني ١٧٦٩) وقعت حركة في بندر ريق اطاحت بحكم الشيخ مهنا وتسلم السلطة شخص يدعى حسين خان ، الذى لم تقدم المصادر معلومات عن شخصيته ومدى صلته بقبيلة بني صعب التي كان شيوخها يتولون حكم الامارة . أما الامير مهنا فقد توجه مع بعض اعوانه الى الكويت ومنها الى البصرة ، واستضافه والي البصرة العثماني بوصفه صديقا لباشا بغداد . وبعد أن اخبر الوالي الباشا بوجوده في البصرة ورغبته بالقدوم

الى بغداد لمقابلته ، رفض باشا بغداد ذلك وطلب من الوالي اعدامه ، وهكذا كانت نهايته (٧٩) .

ادى سقوط حكم الشيخ مهنا الى زيادة التدخل الفارسي والانكليزى في شؤون الامارة ، ثم تواطؤ انكلترا مع الفرس الى ضم الامارة العربية الى الفرس ، وانهاء الحكم العربي لها .

رابعا : القواسم :

اطلقت تسمية قواسم أو (جواسم) بشكل عام على كل القبائل القاطنة في المنطقة الواقعة مابين رأس مسندم شمالا و (أبو ظبي) جنوبا، التي كانت فيخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والعقدين الاولين من القرن التاسع عشر تتبع في ولائها لشيخ القواسم ، ومقره في رأس الخيمة(٨٠) ، ويؤكد كيلي ذلك بقوله ان لفظ القواسم هو اسم العلم لا يدل على قبيلة بعينها انما استعمل ليشير الى تجمع قبلي كانت قيادته للقواسم وشيخهم الذى يحكم الشارقة ورأس الخيمة(٨١) . ويرى مؤرخون آخرون أن القواسم قبيلة نجدية « وهم عرب من آل الظفير » (٨٢) . وتشير وثائق بومباى الى أن القواسم قبيلة عربية ترجع في اصولها الى عدنان ، وكانت تسكن نجد قبل أن تحل في المنطقة . ويشير آخرون الى أن القواسم قبيلة عربية وفدت من العراق بعد هجرتها الاولى من اواسط الجزيرة العربية حيث كانوا يعرفون في نجد بني الغافرى ، كما يستدل على ذلك في كتب معاجم الانساب . ويؤيد واردن Wardan بأن القواسم من العرب ينتهون الى نجد ويطلق عليهم اسم الغافريين احيانا ، وكانوا ينزلون على الجهة الشمالية من الكعبة .

ومهما اختلفت الاراء وتضاربت في اصل القواسم ، الا انهـا تجمع على عروبة هذه القبائل وانها استطاعت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر من السيطرة على جزء كبير من مدخل الخليج العربي ،وامتدت سيطرة القواسم السياسية من رأس مسندم الى دبي ؛ ومن اهم الموانئ التابعة للشيخ القاسمي هي رأس الخيمة ، قاعدة الحكم ، والشارقة ، وهي ثاني الموانئ القاسمية ، وجزيرة الحمـرا ؛ وام القيويـن ، والحميرة وعجمان .

أن اول زعيم بارز للقواسم ، تذكره المصادر ، هو رحمة بن مطـر (١٧٢٢ ـ ١٧٦٠) وقد وصف بأنه اقوى زعيم للقبائل علـى ساحل الشمال وقد نجح في تركيز نفوذه ومد سلطته على شبه جزيـرة مسندم ، ساعدته في ذلك ظروف الاضطراب الداخلي والحرب الاهلية في عمان . وخلال اندلاع الصراع بين احمد بن سعيد ويلعرب بن حمير (١٧٤٥ ـ ١٧٤٩)وقف القواسم الى جانب يلعرب ،وشاركوه في الهجوم على مسقط. وبعد انفراد احمد بن سعيد في حكم عمان في عام ١٧٤٩ ، وكان اول تحد يواجهه هو التحدي القاسمي ، فقد حاول رحمة بن مطر الاندفاع نحـو صحار ، وجرت معركة بتعادلة بين الطرفين . وبعد أن ثبت الامام احمد بن سعيد سلطته في عمان قرر اخضاع القواسم فجهـز حملـة في عامي ١٧٥٨ ـ ١٧٥٩ وقد حقق بعض الانتصارات الا أن حدوث ثورة داخليـة جعله يضطر الى سحب قواته (٨٣) .

توفي رحمة بن مطر في عام ١٧٦٠ وخلفه اخـوه راشد بـن مطـر (١٧٦٠ ـ ١٧٧٧) الذي استمرت في عهده العلاقة سلبية مع عمان . فقد كان امام عمان يطمح في اعادة سيطرته على القواسم وهم يريدون الحصول على اعتراف من الامام بالاستقلال ، وتوسيع رقعـة الارض التـي بيـن

ايديهم ، ولهذا حدثت سلسلة من الحروب بين الطرفين ، ففي عام ١٧٦٢ ارسل احمد بن سعيد امام عمان حملة مؤلفة من اربع سفن كبيرة لحصار منطقة القواسم ، واصابت الحملة بعض النجاح ، فقد استطاع الاسطول العماني محاصرة موانيء القواسم الرئيسة فلم يسمح لاية سفينة بالخروج لصيد اللؤلؤ أو القيام برحلة تجارية • وقد دفعت المعاناة القاسية تلك الموانيء ، عدا رأس الخيمة الى الاعتراف بسلطة الامام (٨٤) •

رد شيخ القواسم في عام ١٧٦٣ بحملة بقيادة ابنه صقر الذى استطاع أن يهدد العاصمة العمانية الرستاق ، مما اضطر امام عمان أن يستقبل سفارة من بعض شيوخ القواسم وتمخضت هذه البعثة عن قناعة الامام باستقلال رأس الخيمة وتوابعها عن سلطته الخاصة في عام ١٧٦٥ وبذلك اصبح نفوذ القواسم محسوما في كل المنطقة الممتدة من خورفكان حتى رأس مسندم والى الشارقة (٨٥) ، وقد تعاون القواسم بعد ذلك مع العمانيين احيانا لمقاومة الاطماع الفارسية التي تمثلت في تهديدات كريم خان الزند للساحل العربي بصورة عامة في عام ١٧٧٢ • وتعاون الشيخ راشد بن مطر مع امام عمان مرة اخرى في عام ١٧٧٥ ضد الفرس وشارك القواسم في مهاجمة ميناء بندر عباس وتدمير سفينتين فارسيتين ومخزن للذخيرة في لنجة (٨٦) •

سعى القواسم الى تحرير الساحل الشرقي والجزر القريبة منه من الاحتلال الفارسي ففي خلال الفوضى التي اعقبت سقوط الدولة الصفوية عام ١٧٢٢ قام الشيخ راشد بن مطر بالاستيلاء على باسيدو في جزيرة قشم (١٧٢٦ ـ ١٧٢٧) وجعل منها قاعدة تجارية كبرى ، كان لها ابلغ التأثير على عوائد ميناء بندر عباس والفوائد المتأتية منه • وكان هذا في مقدمة العوامل التي دعت الانكليز يحسبون لسيطرة القواسم على قشم وغيرها الف حساب ، ذلك لان انكلترا كانت تحصل على نصف الايرادات

التي يوفرها ميناء بندر عباس . وبعد موت نادر شاه في عام ١٧٤٧ ـ وتدهور البحرية الفارسية ، ظهر القواسم على مسرح الاحداث بشكل بارز لتأكيد السيادة العربية على الاجزاء القريبة من الساحل الشرقي ، وقد حدث تحالف بين القواسم وملا علي شاه الضابط العربي وقائد الاسطول الفارسي . ومن الجدير بالذكر أن نادر شاه اضطر الى الاستعانة بعرب الخليج في اسطوله ، لان عرب الخليج ملاحون ماهرون بفطرتهم ، وأن خبرتهم في البحر والسفن تضاهي خبرة احسن الامم في ذلك . وكان هؤلاء الملاحون العرب يستغلون اضطراب الامور في فارس للانتفاض ضد الفرس ، كما حدث في عام ١٧٣٩ و ١٧٤٠ (٨٧) ، وقد علق وكيل شركة الهند الشرقية ـ الانكليزية في بندر عباس على ذلك بقوله :

«فعلى هؤلاء العرب وحدهم يتوقف نجاح المشروع (مشروع نادرشاه لبناء الاسطول) أما الايرانيون فانهم كارهون للسفن ونافرون منها ، كما انهم جاهلون بامور البحر وهذه في الحقيقة كلها امور تحتمها طبيعة بلادهم» (٨٨) .

حقق التحالف بين القواسم وملا علي شاه مصلحة مشتركة للطرفين ، فقد قام ملا علي شاه بطرد الفرس من بندر عباس واصبح حاكما عليها ، ودخل في محالفات مع بعض القبائل العربية هناك ، واصبح لديه اسطول خاص به يضم اربع سفن كبيرة واعداد من السفن الصغيرة والقوارب البحرية ، وزوج احدى بناته عام ١٧٥١ للشيخ رحمة بن مطر القاسمي . ويعلق الدكتور عبد الامير محمد امين على هذا الزواج بقوله : « كانت لهذه المصاهرة اهمية خاصة اذ كانت بداية لتحالف مديد بين قائد الاسطول الايراني وهذه القبائل النشطة . وقد اصبح في مقدور القواسم نتيجة لهذا التحالف الاستفادة من الاسطول .. واستخدامه ضد خصومهم ومنافسيهم في الخليج العربي . وكان هذا سببا مهما لازدياد قوة هذه

القبائل وعاملا ممهدا للدور الخطير الذى قامت به في الخليج العربي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر . (٨٩) .

سعى الحليفان لتحقيق طموحاتهما بتحرير اجزاء مهمة من الساحل الشرقي ، وتقوية مركزهما بين القبائل فاستطاعا الاستيلاء على قشم ولافت ولنجة . كما عزز التحالف موقف ملا علي ازاء تهديدات ناصر خان ، الحاكم الوراثي لاقليم لار الفارسي والذى كانت عائلته تدعي حق السيطرة على بندر عباس وكان انذاك اقوى حاكم في الساحل الشرقي . واستطاع ملا علي شاه تحرير جزيرة هرمز وترميم قلعتها لتكون حصنا له في حالة هجوم ناصر خان على بندر عباس . وقد عزز النصر الذى احرزه الحليفان ضد جزيرة قشم ، موطن قبيلة بني معين ، في مايس عام ١٧٥٥ ، مركزهما وجعلهما سيدين على منطقة من الخليج تضم بندر عباس وهرمز وقشم ، فخلق ذلك من القواسم قوة خطيرة في المنطقة .

ويشير لوريمر الى حدوث تقارب وثيق بين العتوب والقواسم خلال الفترة بين (١٨١٧ ـ ١٨١٩) ذكر الملازم بروس في تقريره أن البحرين قد اصبحت السوق الرئيسة للقواسم وقاعدتهم التي يمونون فيها بالرز والتمور ، وان عددا من سكانها اعتادوا ان يبحروا الى رأس الخيمة للاشتغال في سفن القواسم(٩٠) .

تنازل راشد بن مطر في عام ١٧٧٧ عن الزعامة لمصلحة ابنه وقائده صقر بن راشد (١٧٧٧ ـ ١٨٠٣) بسبب الشيخوخة . وعرف بأنه مخطط النهضة القاسمية الحديثة .

تحالف مع بني معين في نفس السنة التي تولى فيها الحكم ، وعزز التحالف بالمصاهرة بزواجه من ابنه شيخ تلك القبيلة ، فامتدت سيطرة القواسم في عهده من رأس الخيمة حتى دبي ، وشملت الشارقة من جزيرة الحمرة وام القيوين . وفي عهده بدأ الخطر السعودى على المنطقة .

مرت العلاقات القاسمية ـ السعودية بمرحلتين ، تمثلت المرحلة الاولى منها بمقاومة القواسم محاولات آل سعود لاخضاعهم ، وتمتد من حوالي سنة ١٧٩٧ الى سنة ١٨٠٠ . وتبدأ المرحلة الثانية من سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٨١٨ حيث خضع القواسم لهم .

العلاقات الانكليزية القاسمية :

لم تكن هناك اية علاقات ايجابية بين القواسم والانكليز ، وكانت مناطق القواسم مصدرا للذعر الدائم للانكليز في الخليج العربي تعرقل نشاطهم الاقتصادى وتهدد وجودهم ذاته . وقد ساعد القواسم على موقفهم الصلب ضد التجارة والنشاط الانكليزى عاملان يختصان بالمنطقة اولهما طبيعي والاخر بشرى يتمثلان في تمرس القواسم في البحر والابحار والتمييز بالجرأة والاقدام(٩١) . وكان القواسم يخرجون الى البحر في مجموعات تتألف من ١٥ الى ٢٠ سفينة . وقد قدرت عدد وحدات اسطول القواسم في ذلك الوقت بـ (٦٣) سفينة من الحجم الكبير ، و (٨١٠) من الحجم الصغير يديرها ما لايقل عن (١٨) الف الى (٢٥) الف رجل . أما اسطول القتال القاسمي فلم يكن يزيد على (٧٠ـ٨٠) سفينة(٩٢) .

ادت العلاقة السلبية بين الطرفين الى تحدى القواسم للانكليز وقيام الانكليز بالرد على هذا التحدى فقد هاجم القواسم سفنا انكليزية أو مبحرة تحت العلم الانكليزى وفيما يأتي ابرز تلك الهجمات :ـ

١ ـ اول هذه الهجمات جرت في كانون الاول سنة ١٧٧٨ حيث قامت ست سفن قاسمية بالهجوم على سفينة انكليزية تحمل رسائل رسمية ، وبعد معركة بحرية دامت ثلاثة ايام تم اسرها واقتيادها الى رأس الخيمة ، وقد حاول المقيم الانكليزى في بوشهر استعادتها ولكن الشيخ القاسمي رفض تسليمها الا بعد دفع فدية مقدارها (٤٠) الف روبية .

٢ ـ اعترض تشكيل قاسمي بحرى مؤلف من ثماني سفن السفينة الانكليزية سكس succe وهي في طريقها من البصرة الى مسقط في شهر كانون الثاني ١٧٧٩ محاولا اسرها لكن سكس نجحت في الفرار .

٣ ـ هاجم تشكيل قاسمي بحرى السفينة الانكليزية (استانس) في شهر شباط ١٧٧٩ ولكنها نجحت في زد الهجوم ووصلت بسلام الى بوشهر .

٤ ـ نجح القواسم في سنة ١٧٩٠ من أسر السفينة (بكلريك) المبحرة تحت العلم الانكليزى بالقرب من رأس مسندم .

٥ ـ هاجم القواسم في ماپس ١٧٩٧ السفينة الانكليزية (باسين بالقرب من جزيرة قيس وبعد اسرها اقتيدت الى رأس الخيمة ، مع ذلك فقد اطلق الشيخ القاسمي سراحها بعد يومين من وصولها .

٦ ـ ولعل من اجرأ العمليات التي قام بها القواسم ضد الانكليز مهاجمة احد تشكيلاتهم البحرية للطراد الانكليزى (فايبر Faibre) ذى عشرة مدافع في تشرين الاول سنة ١٧٩٧ بينما كان راسيا بالقرب من بوشهر الا أن بحارته نجحوا في الفرار من الميناء فتبعقبه التشكيل القاسمي حيث دار اشتباك عنيف انتهى بنجاة الطراد بعد أن تكبد اثنتين وثلاثين اصابة بين قتيل وجريح من بحارته .

لم يتعرض القواسم للسفن الانكليزية منذ الهجوم على الطراد فايبر سنة ١٧٩٧ ولمدة سبع سنوات تقريبا . ولعل ذلك يرجع الى انهماك القواسم في الصراع مع حاكم مسقط وال سعود وقد استطاع القواسم خلال تلك الفترة بالتعاون مع ابناء عمومتهم ، سكان لنجة على الساحل الشرقي للخليج وبني معين قشم وهرمز من الاستيلاء على الجزر الواقعة في مدخل

الخليج العربي ، كما تمكنوا من الاستيلاء على بندر عباس وفرض حصار على ميناب التي لا تبعد اكثر من بضعة اميال من بندر عباس وما أن تمت لهم السيطرة على مضايق هرمز حتى اصبحوا في وضع يمكنهم من تهديد ومهاجمة اى سفينة قادمة الى الخليج او ذاهبة منه • وفي اواخر سنة ١٨٠٤ استولى القواسم على سفينتين امريكيتين تابعتين لممثل شركة الهند الشرقية في البصرة هما شانون وتريمر في شهر كانون الثاني سنة ١٨٠٥ هاجم اسطول من (٤٠) سفينة شراعية تابعة للقواسم طراد الشركة مورنجتون المسلح بـ(٢٤) مدفع، ولكنه استطاع الافلات من الاسطول القاسمي (٩٣) •

قرر الانكليز بمساعدة العمانيين مهاجمة القواسم واتباعهم في مدخل الخليج العربي ووصلت حملة مشتركة في حزيران عام ١٨٠٥ لمحاصرة ميناء بندر عباس الامر الذى اضطر حاميته الى الاستسلام ، واعقب ذلك فرض الحصار على بني معين في قشم • فارسل القواسم ثلاثين سفينة لنجدة حلفائهم فاوقعها الانكليز في كمين وحاصروها في ميناء قشم ، ولم يسمح للقواسم بمغادرة الميناء الا بعد أن وقعوا هدنة مدتها سبعون يوما والموافقة على عقد اتفاق مبدئي مع الانكليز اقر بصورة نهائية في (٦ شباط ١٨٠٦) وبموجبه تعهد القواسم بعدم مهاجمة السفن البريطانية والممتلكات والرعايا البريطانيين(٩٤) ، وسمح للقواسم بدخول موانيء الهند •

وبعد الاتفاق لم يتعرض القواسم للسفن والتجارة البريطانية حتى تنحية سلطان بن صقر عام ١٨٠٨ ، وتعيين حسين بن علي نائبا للامير ، ويذكر كيلي بان الاوامر صدرت اليه بان يبقي في البحر كل سفينة لديه لتعمل باسم ال سعود ضد (الهراطقة والمرتدين والكفار على السواء ، وان يرسل بخمس الغنائم التي يستولي عليها الى الدرعية • وكانت اكبر العمليات الناجحة للقواسم في عام ١٨٠٨ ، هجوم قوة قاسمية مؤلفة من

خمس وخمسين سفينة على السفينة التجارية الضخمة (منيرفا Minirfar) واسرها واقتيادها الى رأس الخيمة التي استخدمت فيما بعد مع اسطول القواسم (٩٥) .

ازدادت جرأة القواسم الى درجة كبيرة ولم تستطع بريطانيا الوقوف بوجه تلك القوة ، ويذكر كيلي أن حكومة الهند البريطانية تنقصها الإمكانيات اللازمة لشن حملة فعالة ضد القواسم فلم تكن بحرية بومباى تملك اكثر من ١٢ سفينة سنة ١٨٠٨ وفي سنة ١٨٠٩ هاجم القواسم السفينة البحرية الملكية الضخمة (لايون Lion) ذات الخمسين مدفعا مما يدل على مبلغ استهانتهم بالقوة البريطانية ، وطلب القواسم من السفن البريطانية المارة بالخليج دفع الرسوم وبعكسه فأن شيخ القواسم يعلن عدم اعترافه باتفاق شباط ١٨٠٦ (٩٦) .

ادى اتساع نشاط القواسم الى قيام الانكليز بتجهيز قوة كبيرة في ايلول ١٨٠٩ لمهاجمة ميناء رأس الخيمة ، وحرق وتدمير كل السفن والزوارق التي يعثر عليها في الميناء وفرض اتفاقية على القواسم تضمن سلامة الملاحة والخليج مستقبلا (٩٧) . وقد واجه الغزو البريطاني مقاومة ضاربة وشجاعة من جانب القواسم الذين اندفعوا نحو الساحل لمقاومة الانزال ، وبلغت هذه الشجاعة الذروة عندما رفض القواسم الاستسلام وفضلوا الاستشهاد عليه ؛ ووصف احد الضباط الغزاة هذه الشجاعة بقوله :

« لقد عمدنا الى استخدام القنابل الكروية واليدوية ولكن العدو (يقصد القواسم) اعاد هذه القنابل الينا قبل أن تنفجر مؤكدا تصميمه على مواصلة القتال » . وقد اضطر الانكليز الى الانسحاب قرروا السيطرة على لنجة ولافث كما استمروا في تعقب القواسم في جزر الخليج والساحل الشرقي (٩٨) .

والحقيقة ان غزوة عام ١٨٠٩ لم تكن ناجحة ولم تحقق اهدافها اذا لم ينقد القواسم قوتهم البحرية تماما ،لان الجزء الاكبر من سفنهم قد افلت، فقبل مجيء الحملة تمكن القواسم من اخفاء عدد كبير من السفن في الخلجان الصغيرة على الجانب الغربي من شبه جزيرة مسندم والتي لم يكن قواد الحملة يعرفون شيئا عنها ، كما كان بعض السفن في رحلات تجارية في البحر الاحمر وافريقيا الشرقية . ولم تستطع الحملة اجبار القواسم على توقيع اتفاق مع البريطانيين على غرار اتفاق عام ١٨٠٦ ولم يجن الانكليز من الحملة الا بعض الغنائم والاسلاب (٩٩) .

بعد حملة عام ١٨٠٩ توقف القواسم عن مهاجمة السفن البريطانية خلال الفترة بين سنتي (١٨١٠-١٨١١) استطاع القواسم خلالها من شراء سفن جديدة وبناء اخرى لتعويض خسائرهم عن السفن التي دمرها البريطانيون . وفي الشهور الاخيرة من عام ١٨١٢ عاد القواسم الى نشاطهم بنفس القوة فنجحوا في تدمير واسر عدد من السفن التي تعود لموانيء البصرة وكنكون ، ولم تنج السفن المبحرة تحت العلم البريطاني من تحرشاتهم ، حتى اصبحوا من جديد اقوى قوة على طول خطوط الملاحة في الخليج العربي . وقد ظهرت سفن القواسم في خريف عام ١٨١٣ على مقربة من سواحل الهند الشمالية الغربية . وقامت في مطلع عام ١٨١٤ بأسر عدد من السفن هناك فصدرت الاوامر الى ثلاثة من الطرادات البريطانية للبحث عن القواسم وتحذيرهم من نتائج بقائهم في المياه الهندية . وقدم المستر بروس المقيم في بوشهر احتجاجا الى كل من الامير السعودي والرحيم القاسمي في مايس ١٨١٤ (١٠٠) .

اولا : نجاح الانكليز في فرض سيطرتهم على الخليج العربي

كانت السيادة والقوة في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بيد العرب ، سواء اكانوا عرب عمان ام أو عرب القواسم أو عرب كعب ، أو عرب العتوب • حيث نجحت القبائل العربية نجاحا واضحا في صد التوسع الاوربي ، وتمكن العرب من طرد البرتغاليين والهولنديين من الخليج العربي ووقفوا ضد التوسع الانكليزى، وحافظوا على استقلالهم ، لكن طاقاتهم كانت مبعثرة، وينقص تلك القوى العربية الادراك السليم لمصالحها المشتركة فقد كانت في نزاع دائم فيها بينها ، الامر الذى ادى الى ضعفها واضمحلال قوتها ، ومهد السبيل للسيطرة البريطانية الفعالة على منطقة الخليج العربي التي قدر لها أن تعيش لمدة مائة وخمسين عاما •

فقد اغتنم القائد البريطاني وليم كرانت كير Major General William Grant Keir الفرصة الثمينة التي وفرها الاحتلال البريطاني لمدن القواسم ، ليس في الحصول على الغنائم والاسلاب ، بل في نشر السيطرة البريطانية في ربوع الخليج العربي • فاقامت القوات البريطانية معسكرا لها في رأس الخيمة ، وكان ذلك هدفا كبيرا في ايجاد نوع من التسوية السياسية تكفل القضاء على المقاومة العربية، ولاتسمح للقواسم أو لغيرهم من العرب في المستقبل من تهديد المصالح البريطانية أو التعرض للتجارة البريطانية في المنطقة • وقد حضر الى المعسكر البريطاني في أوائل شهر كانون الثاني ١٨٢٠ ، جميع شيوخ الساحل البارزين عارضين التفاوض والصداقة وكان بينهم سلطان بن صقر شيخ الشارقة ، وشيوخ ابو ظبي ودبي وعجمان وام القيوين وجزيرة الحمرا ؛ فبادر كير الى عقد اتفاقيات اولية مشابهة مع هؤلاء الزعماء كل على

انفراد . وكان اول الموقعين على الاتفاقيات الاولية سلطان بن صقر ، شيخ الشارقة في (٢ كانون الثاني ١٨٢٠) ، وحسن بن رحمة ، شيخ القواسم في (٨ كانون الثاني) ثم تبعهما جميع الشيوخ . وقد تضمنت المعاهدة المعقودة مع شيوخ القواسم الشروط الاتية : ـ

١ ـ يتعهد شيخ القواسم بتسليم السفن العربية الموجودة في رأس الخيمة والشارقة وابو ظبي ولايحق له سوى الاحتفاظ بمراكب الصيد .

٢ ـ يتعهد الانكليز بعدم الدخول الى الاحياء العربية بقصد تدميرها .

٣ ـ يعيد العرب جميع الاسرى من الرعايا البريطانيين .

٤ ـ يوافق القواسم على ينفيذ هذه الشروط وعلى توقيع معاهدة شاملة مع بريطانيا(٢) .

اتسمت تلك التعهدات بالاذلال للشيوخ ، وفرضت من جانب واحد هو المنتصر في الحرب لهذا لم يكن فيها عنصر التكافؤ ، ويمكن القول بأنها غير شرعية ، ولكنها اتخذت من الانكليز وسيلة شرعية لمواصلة تدمير قوى القواسم العسكرية والبحرية الاخرى ، (٣) وتطبيقا لهذه التعهدات امر كير بعض القوات بتفتيش جميع الموانيء ابتداء من رأس الخيمة حتى دبي . وتم تدمير جميع التحصينات والسفن التي وجدت في هذه الموانيء ، وقدرت قيمتها الاجمالية بما يزيد على (٣٠) الف جنيه استرليني . وقد انجزت هذه المهمة نهائيا في (١٨ كانون الثاني ١٨٢٠) (٤) .

على أن اهم ماقام به القائد البريطاني كير هو عقدمعاهدة عامة مع قبائل الخليج العربي عرفت بأسم « اتفاقية السلم العام » جعلت فيها بريطانيا من نفسها مسؤولة عن حماية الامن في الخليج العربي وحكما بين قبائله . وقد تألفت المعاهدة من مقدمة واحدى عشرة مادة وجاء في المقدمة القول : ـ

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذى جعل السلام بركة على الناس ، بناء على ذلك يتفق الطرفان على توطيد السلم بين الحكومة البريطانية والقبائل العربية الموقعة على هذا العقد وذلك على الشروط الاتية : ـ

١ ـ تحريم النهب والقرصنة نهائيا في البحر والبر ، وحددت القرصنة باى عمل من اعمال العنف يتم بدون حرب معلنة من جانب حكومة ضد اخرى ويستحق المخالف اقصى عقوبة وهي المصادرة والموت . وهدف بريطانيا من ذلك هو القضاء على المقاومة العربية ضدها التي اسمتها « نهب وقرصنة » .

٢ ـ تزويد كل سفينة بوثيقة عربية «سجل» واجازة ميناء موقعتين من الشيخ ، الحاكم ، تتضمن اسم السفينة وحمولتها واسلحتها والجهة التي تقصدها .

٣ ـ أن تحمل سفن العرب علما تميز به ، وقد حدد شكل العلم بـ « ابيض يخترقه احمر » ويكون هذا العلم رمزا للسلام بين القبائل العربية وبريطانيا .

٤ ـ يتعاون شيوخ القبائل العربية مع بريطانيا للقضاء على اية حركة ترمي الى خرق المعاهدة .

٥ ـ تحريم تجارة الرقيق ، والتعهد بعدم حمل الرقيق من سواحل افريقيا بوصفة عملا من اعمال القرصنة .

٦ ـ السماح لسفن القبائل العربية بدخول الموانيء البريطانية وممارسة التجارة فيها بحرية .

٧ ـ تبقى هذه المعاهدة مفتوحة لكل القبائل والاشخاص الراغبين بدخولها في المستقبل بحيث تنطبق عليهم نفس الشروط التي تنطبق على الموقعين عليها في البداية .

وكان حسن بن رحمة ، شيخ القواسم، أو الموقعين عليها ، قد خلع من الزعامة القاسمية بعد توقيعه المعاهدة مباشرة . وقد وقعها شيوخ الشارقة وعجمان وابو ظبي والخمرا ورأس ام القيوين والبحرين ودبي(٥)

من دراسة فقرات المعاهدة واسماء الموقعين عليها يمكن القول : ـ

١ ـ أن هدف بريطانيا هو تجزئة المنطقة ، وبث روح الفرقة بين ابنائها بتقسيمها الى عدد من المشيخات والامارات ، أو بتأكيد الامر الواقع والمحافظة عليه حتى لايتغير الى احسن مما هو عليه . فقد غلت بريطانيا يد الشيوخ عن بعضهم البعض في البحر واطلقتها في البر ، ولم تمانع في تفتيت المشيخة الى مشيخات اصغر كلما كان ذلك ممكنا .

٢ ـ عقد البريطانيون المعاهدة مع عرب الساحل الغربي للخليج العربي فقط ، دون أن يدخلوا شيوخ العرب على الساحل الشرقي ، مما يدل على نية بريطانيا في تمكين الفرس من السيطرة السياسية على الساحل الشرقي ، كما حالت بريطانيا في الوقت نفسه بين العرب وبين جزرهم التي احتلت من قبل الفرس الواحدة بعد الاخرى . ووفرت بريطانيا الحماية اللازمة للتجارة الفارسية في الخليج العربي .

٣ ـ تأمين مصالح بريطانيا ورعاياها في الخليج العربي ؛ حيث اشترطت صراحة بمنع تعرض « العرب المتصالحين لكافة الناس » فلم يعد مشروعا باى حال من الاحوال قيام على تلك المعاهدة باعمال المقاومة ضد النشاط البريطاني .

٤ ـ انقطع عرب الخليج عن العالم الخارجي ، بعد أن قضت حملة ١٨١٩ على معظم سفن العرب التي كانت تصلهم عن طريق التجارة والجهاد بالهند وشرق افريقيا .

وحدث هذه المعاهدة سلطة الشيوخ الى درجة كبيرة . فبعد أن كان الشيوخ يمثلون بعرف القبيلة ويملكون نواحيها بالتقاليد العربية ، صاروا بعد أن ملك الانكليز امرهم حكام مناطق جغرافية(٦) .

بدأت بريطانيا بعد ذلك بترتيب اوضاعها السياسية في الخليج العربي . فبعد أن كان لبريطانيا وكالة تجارية في بوشهر منذ عام ١٧٦٣ ، كانت سنة ١٨٢٠ نقطة تحول في علاقة بريطانيا السياسية في الخليج العربي ، فقد عهد الى الكابتن طومسون المرابط مع قوته العسكرية في جزيرة قشم في تموز ١٨٢٠ وصارت وظيفته « الوكيل السياسي للخليج الادنى » وتحددت مهمته بتطوير العلاقات بين حكومة بومباى ومشيخات الساحل العماني وتولي العلاقات السياسية مع حكومة مسقط ،الا أن هذا الترتيب سرعان ما الغي بعد الرحيل عن قشم ، وتحولت الوكالة التجارية في بوشهر الى مقيمية في عام ١٨٢٢ مسؤولة عن باقي الوكالات السياسية التي اسست تباعافي منطقة الخليج العربي منها الوكالة السياسية البريطانية في الشارقة عام ١٨٢٣ المشرفة على الساحل العماني والوكالة السياسية في مسقط ١٨٤٠ والوكالتان السياسيتان لكل من البحرين والكويت عام ١٩٠٤ . وكان المقيم السياسي في بوشهر يتلقى تقارير الوكلاء عن مناطق الخليج ويوحدها ويبعثها الى حكومة بومباى حتى عام ١٨٧٣ والى حكومة الهند بعد هذا التاريخ ، بسبب التغير الذى حدث في طبيعة المراسلات البريطانية في منطقة الخليج العربي والهند لمواجهة النشاط العثماني في المنطقة .

وفي ١٨٧٨ اصبح المقيم البريطاني في بوشهر قنصلا عاما في الخليج ايضا لاقليم فارس والاحواز ولورستان والجزر التي تقع ضمن الساحل الشرقي ، وغدا مسؤولا امام حكومة الهند بصفته مقيما في الخليج ، وامام وزارة الخارجية بصفته قنصلا عاما لاقاليم فارس والمناطق الاخرى . ثم

يعد ذلك مسؤولا امام وزارة المستعمرات . وكان المقيمون أو الوكلاء السياسيون يختارون ممن امتازوا بالحنكة السياسية والخبرة التجارية والخبرة والقدرة الادارية بشرط اجتيازهم لاختبارات اللغتين العربية والفارسية .

يعد ماكلويد اول مقيم سياسي بريطاني في الخليج العربي ؛ وقد عين في تشرين الاول ١٨٢٢ وكانت اهم التعليمات الصادرة اليه هي الحفاظ على امن الخليج العربي ، والقضاء على اعمال المقاومة العربية مع استعراض للقوة البريطانية والنفوذ البريطاني ، وان يركز جهوده على حماية التجارة البريطانية، وان يتعامل مع شيوخ الساحل بالحزم والاسلوب الودى في نفس الوقت ، لذلك يتعين عليه أن يقوم بزيارات منتظمة لهم لكي يتأكد من التزامهم بتطبيق نصوص معاهدة السلم العامة ، وقد كلف بأن يعد تقريرا عن الامكانيات البحرية للقبائل العربية ، وعلاقة بعضهم بالبعض وعما اذا كان هناك نفوذ لاى دولة اخرى(٧) .

خلق القيم وظيفة الوكيل السياسي للساحل المهادن في عام ١٨٢٣ ، ولما كانت الشارقة من اكثر مناطق الساحل في ذلك الوقت خطرا على الانكليز ، فقد جعلوا دار الوكيل السياسي هناك ، كما عين وكلاء وطنيين في بعض الامارات الاخرى يتصلون به . وصار الوكيل السياسي هو الملك غير المتوج في المنطقة كلها ، اذا كان يحكم صك تعينه «أحد محاسيب الدولة البهية الانكليزية » ولم يكن يعد للشيوخ الا أن يتقربوا اليه بالهدايا حتى اثرى معظمهم .

كانت مهة الوكيل السياسي هي التجسس والكتابة للمقيم البريطاني أو نائبه بكل ما يحدث وقد اجاد بعضهم لدرجة انه كان يحصي على الشيخ كل حركاتهم وسكناتهم وحوادث زواجهم وطلاقهم وامزجتهم الخاصة .

كذلك كان الوكيل السياسي هو حلقة الوصل بين مكتب المقيم في الخليج وبين الشيوخ ، وكانت كل المكاتبات الشخصية والرسمية تصدر وترد عن طريقه • وكان الوكيل السياسي مسؤولا عن جميع الغرامات المختلفة التي صار المقيمون يفرضونها على الشيوخ عقابا في حوادث اضطرابات امن الخليج العربي • وقد كان يحضر مجالس الصلح التي يعقدها الشيوخ ويتدخل تدخلا فعالا لتنفيذ السياسة البريطانية(٨) •

ومن اجل احكام السيطرة البريطانية على الخليج ، اخذ البريطانيون على عاتقهم القيام بمسح الخليج بدقة وخاصة للسواحل الجنوبية والغربية للخليج العربي ابتداء من رأس مسندم وكانت عمليات المسح المبكرة شاقة ومهمة ، ونظرا لصغر حجم السفن المستخدمة وعدم صلاحيتها للظروف المناخية للمنطقة، فأن عددا كبيرا من الضباط البريطانيين الذين اشتركوا فيها ماتوا او انهارت صحتهم بسبب المناخ والارهاق •

ارتبطت عمليات المسح الاولى باسماء « منوهان وجيني وبروكس » الذين انهوا عمليات المسح للساحل الغربي في سنة ١٨٢٥ ، ثم بدأ «هينز» في عمليات مسح خليج عمان وساحل مكران امتدادا لكراتشي في سنة ١٨٢٩ • وقد بدأ هينز مسح الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية منذ سنة ١٨٣٣ • وفي سنة ١٨٥٧ ترتب اعادة النظر في اعمال المسح العديدة (بين سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٢٨) وقد قام بذلك احد الضباط ، وانتهى العمل منه في سنة ١٨٦٠ • وكانت النتيجة خريطة عامة للخليج في لفتين ، وكانت تلك الخريطة على جانب من الدقة •

وفي السبعينات جرى مسح شامل لمياه البحرين وقطر وخور الحجر وبهمشير وتبين استحالة الملاحة في الميناء الاخير • واقيمت محطات بريطانية لرصد حركة المد والجزر في بوشهر ومسقط في التسعينات وقد

تمت عمليات رصد تلغرافية في محطتي بوشهر وجاسك لتحديد خطوط الطول(٩) .

وبعد أن رتبت بريطانيا اوضاعها السياسية والعسكرية في الخليج العربي بدأ المقيمون يطمئنون على قوتهم في الخليج العربي حتى أن المقيم ستانوس اوضح في شباط ١٨٢٧ بأنه يمكن أن يستغني عن سفينة من قوة الاسطول في الخليج العربي دون مخاطرة واكد خلفه المقيم ديفيد وينسون في مايس ١٨٢٨ بأنه تمكن من أن يحافظ على امن الخليج العربي بأربع سفن فقط ، اثنتين منها تبقى عند مصائد اللؤلؤ في كل موسم ، والاثنتين الاخريين تبقيان للطوارىء والارغام((١٠) .

لم يكن تقدير البريطانيين في محله ، فعلى الرغم من ضعف القوة العسكرية العربية بعد عام ١٨١٩ ، الا أن المقاومة ضد البريطانيين استمرت ، ولو بدرجة ضعيفة . فعند زيارة السفينة البريطانية سنبري Sunbury الى الشارقة في عام ١٨٢٩ هوجمت من بعض المواطنين العرب المعادين لبريطانيا والذين قاموا بانزال العلم البريطاني من ساريته فأسرع الشيخ سلطان الى الاعتذار للمقيم ، وعاقب الرجل الذى انزل العلم بالجلد والحبس . وحدثت هجمات عربية على سفن بريطانية من قبل راشد بن حمد ، امير عجمان ، في عام ١٨٣٢ ، ومن بني ياس ، شيوخ ابو ظبي ، في عام ١٨٣٥ ، فقد شعر بنو ياس بثقة . وهم يتحدون البريطانيين وذهبت سفنهم الى مدخل الخليج العربي لحراسته . واصابت سفن بني ياس في الفترة من شباط حتى منتصف نيسان ١٨٣٥ ، سبعة عشر سفينة اغلبها فارسية واثنتين تحملان العلم البريطاني . فضلا عما قامت به قبيلة القبيسات وهم فرع من بني ياس ثاروا على شيوخهم ، ورفضوا الاعتراف بالمقيم البريطاني وبمعاهداته فضلا عن المقاومة العربية الفردية غير المسنودة من شيخ او امارة(١١) .

وحرصا من بريطانيا على سيطرتها الفعالة على شيوخ الخليج ، وخشيتها من أن ينفرط حبل الامن ويخرج من يدها فالحوادث الصغيرة ، كما يقول لوريمر تولد الامور الجسام ،فقد سعت الى عقد اجتماع للشيوخ في عام ١٨٣٥ تحت اشراف المقيم ، الذى اقنع الشيوخ للموافقة على وقف القتال بحرا لمدة ستة اشهر ، والمهم بأنه سيعد قتال البحر ، مهما كانت دواعيه ، قرصنة اذا حدث في هذه المدة • وقد مددت هذه الهدنة في الاعوام التالية من ١٨٣٦ ـ ١٨٤١ ، وفي كل مرة لمدة سنة واحدة • وقد سبب هذا التجديد المستمر للهدنات البحرية ونجاحها ارتياحا عظيما للبريطانيين ولهذا اخذت بريطانيا تسعى لعقد هدنة دائمة(١٢) •

قام المقيم روبرتسون بزيارة الى الساحل العماني في عام ١٨٤٣ ودعا الشيوخ لتجديد الهدنة لمدة عشر سنوات ، ووقع الاتفاق في اول حزيران عام ١٨٤٣ ، الذى عرف بأسم « تعهد السنوات العشر » وجاء في مقدمة الاتفاق على لسان الشيوخ القول

« بأننا بعد أن تحققنا من الفوائد التي تعود علينا من سلامة الملاحة وخاصة فيما يتعلق بتقدم مصايد اللؤلؤ ،فأننا نتعهد امام المقيم البريطاني باحترام الشروط الاتية » :

١ ـ تحريم اى اشتباك مسلح ابتداء من حزيران ١٨٤٣ ولمدة عشر سنوات اى حتى نهاية مايس ١٨٥٣ •

٢ ـ فرض عقوبة على كل من يخالف هذا الشرط بمجرد أن يبلغ نبأ الاعتداء الى اى من الرؤساء •

٣ ـ يتعهد الشيوخ قبل توقيع اى عقوبة بنقل مضمونها الى المقيم البريطاني أو قائد جامية باسيدو ، حتى يكون الحكم سابقا لتوجيهاته •

٤ ـ يتعهد الرؤساء العرب بتحديد هذه الهدنة بعد نهاية السنين العشرة وجعلها سرمدية ، وان يردوا الامر في التحديد للمقيم العام أن هم اختلفوا فيه .

وبحجة حضر نطاق الخلاف القبلي اقترح هينل في حزيران ١٨٣٦ أن يكون الجزء الشرقي من الخليج العربي خاليا من اية سفن عربية ، وطلب من الشيوخ أن لا تتعدى سفنهم بوموس وسيرى شمالا . وعرف هذا الخط بـ « الخط المانع » واكد المقيم للشيوخ أن وجود اى سفينة عربية شمال هذا الخط من قبيل القرصنة ووافقت حكومة الهند والحكومة البريطانية في لندن على خطة هنيل . ورسم موريسون خليفة هينل الخط المانع الثاني الذى خرم على السفن العربية الابحار الى شمال خط يبدأ عند قشم ويمتد الى عشر أميال من الجنوب من بو موسى حتى صير بونعير وكان من نتائج هذين الخطين أن انحصرت سفن العرب الحربية خلف منطقة حرام هي في الواقع المسار الرئيس للسفن البحرية في الخليج العربي . كما ادى هذان الخطان الى انفصام روابط عرب ساحل الخليج العربي ، وانتهى في فترة وجود الانكليز ، الى تسلط الفرس على الساحل الشرقي للخليج وجزره وفي فترة رحيلهم على الاحتلال الفارسي لجزر ابو موسى والطنبين(١٣) .

وقبل انتهاء مدة السنوات العشر للتعهد الموقع في عام ١٨٤٣ سعت بريطانيا الى دفع الشيوخ لجعله اتفاقا « ابديا » فوقع الشيوخ في عام ١٨٥٣ الاتفاق الجديدالذى اقرفقرات الاتفاق السابق .واعطى لبريطانيا صلاحيات جديدة فهى التي تفصل في المشاكل التى تحدث بين المشايخ وتقوم بمراقبة الامور في البحر ، وتنفيذ شروط الاتفاق ، وقد عد ذلك نصرا عظيما للسياسة البريطانية في الخليج العربي التي ثبتت قواعدها وزاد نفوذها . وكان هذا اول اتفاق للهدنة يصادق عليه حاكم الهند العام ، لان

الاتفاقيات السابقة كان يوقعها المقيم البريطاني . واهم نتائج الاتفـــاق ثـلاث ..

١ ـ زيادة اقحام السياسة البريطانية في شؤون المشيخات الداخلية ، فقـد اصبح المقيم السياسي هو الموجه لسياســة الامـارات ، رغم وجـود السلطة بايدى الشيوخ ، وصار الواجب الاساس للمقيم هو التنفيذ المتعسف لنصوص الاتفاق . ووضعت من اجل ذلك، قطعات الاسطول البريطاني تحت امرته وفوض المقيـم سلطتـه العسكريـة لضباط البحرية في الخليج العربي ، وطلب اليهم وضع كـل طاقاتهـم لمنـع الحرب ، وعدم التردد في التدخل المباشـر واستعمال القـوة في سبيل ذلك . وقد اساءت السلطات البريطانية استخـدام قوتهـا في فرض الغرامة على المشيخات ، فكانت تلزمها بدفع مبالغ كبيرة من الاموال لابسط الامور ، حتى قيل بان خزانة المقيم البريطانـي في بوشهـــر امتلاءت نتيجة تلك الغرامات (١٤) .

٢ ـ زيادة ضعف المشيخات وتفكك الاسر الحاكمة ، فقد فتت الحـــروب القبلية وحدة القبائل العربية ، وشغلتهم عن جمع شملهم والالتفات الى العدو الذى جثم على حدودها الشرقية ،علاوة على انقطاع عرب الخليج عن التجارة ، فلم يكن في وسع السفن العربية المسلحة الابحار بعد نقطة معينة في الخليج العربي ، ولم يكن من الممكـن أن تقـوم سفينة عزلاء من السلاح بالتجارة . فانقطع احتكاك عرب الخليـــج بالعالم الخارجي الذى جهلوا تطور اساليبه وتقوقعوا في منطقتهم كل يطمح في ارض الاخر المقفرة الامر الذى ادى الى ضعفهم جميعا .

٣ ـ زيادة سيطرة الفرس على الساحل الشرقي للخليج . وضياع الجـزر العربية ، نتيجة للخطوط المانعة التي رسمتها بريطانيا ، التي منعت

السفن العربية من تجاوزها فاتفصمت روابط عرب ساحلي الخليج ، وادى ذلك الى تسلط فارس على الساحل الشرقي وجزره وقد ادى ضعف البحرية العربية وخطر الحرب بموجب اتفاق عام ١٨٥٣ الى طمع فارس في كل الجزر العربية(١٥) ٠

استمرت بريطانيا باحكام قبضتها على منطقة الخليج العربي ، عن طريق سلسلة من المعاهدات عقدت في الفترة بين ١٨٦١ ــ ١٨٨٠ وبلغت السيطرة البريطانية اوجها بتوقيع اتفاق عام ١٨٩١ ، الذى صادقت عليه الحكومة البريطانية في تموز ١٨٩٢ وعرف فيما بعد باسم « الاتفاق المانع او الابدى أو السرمدى » وكانت فقراته تنص على مايأتي : ــ

١ ــ لايدخل هؤلاء الشيوخ في علاقات الامع الدولة البريطانية ٠

٢ ــ لايمنحوا الأذن بالاقامة في مناطقهم لممثلين لاى حكومة اخرى ٠

٣ ــ لايتنازلوا بيعا اورهنا او هبة أو ايجارا او باية صورة من الصور عن اية قطعة ارض لاى اجنبي الا بموافقة الحكومة البريطانية ٠

٤ ــ أن يكون هذا الاتفاق مقيدا لهم ولورثتهم ومن يخلفهم ٠

ويمكن القول أن الاتفاق اطلق لبريطانيا التصرف في الخليج العربي ولم يكن سوى نظام للحماية على الرغم من أن بريطانيا لم تشأ أن تسمي الاتفاق صراحة بهذا الاسم ٠ واصبح الاتفاق الركيزة الاساسية للوجود البريطاني في المنطقة التي صارت تحت الحماية المقنعة Veited Protectrat أو مناطق تحت الحماية Under Protection

وقد اشارت الوثائق البريطانية الى المشيخات بصفتها دويلات قزمية مستقلة Independent petty states اشبه بالمستعمرة يحكم فيها

البريطانيون عن طريق الادارة الاصلية . واستطاع البريطانيون، بموجب هذا الاتفاق ، أن يحضروا على المنطقة التعامل مع العالم الخارجي ومسايرته . واقام الاتفاق سدا حول المنطقة ابعد عنها كل رياح التغيير . وبهذا استطاع البريطانيون السيطرة على المنطقة والتحكم بشؤونها .

وعلى غرار اتفاق ١٨٩٣ عقدت بريطانيا اتفاقات مع الكويت في عام ١٨٩٩ على الرغم من بقائها اسميا ضمن الدولة العثمانية. ومع ابن سعود في ١٩١٥ بموجب معاهدة دارين (القطيف) التي نصت على اعتراف بريطانيا باستقلال ابن سعود وحماية بلاده ضد اى اعتداء خارجي يقع عليه . وقد تضمن الاتفاق نصا يقضي بعدم نقل ملكية اراضيه الى اية دولة اجنبية ، ومنع اقامة علاقة دبلوماسية مع اية دولة عدا بريطانيا ، وتعهد ابن سعود الامتناع عن كل تجاوز وتداخل في اراضي الكويت والبحرين وقطر وعمان وسواحلها ، وكل الشيوخ الذين لهم معاهدات مع بريطانيا ، وفي عام ١٩١٦ عقدت قطر اتفاقا « مماثلا » مع بريطانيا .

وقد اتسمت السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر ، والسنوات الاول من القرن العشرين بازدياد النشاط الاوربي في الخليج العربي ، وتعاظم حدته سياسيا واقتصاديا » . وقد عينت الحكومة البريطانية شخصية استعمارية معروفة بمنصب نائب الملك في الهند ، هو اللورد كيرزون Curzon الذى تسلم منصبه في يوم (٣ كانون الثاني ١٨٩٩) وظل حتى وقت متاخر من عام ١٩٠٥ . وقد وصف بأن له اطلاع واسع على شؤون الخليج العربي وبلاد فارس التي زارها كثيرا وكتب عنها مؤلفة في عام ١٨٩٢ « فارس والمسألة الفارسية » . وعرف عنه تأييده للاطماع الفارسية في الخليج ، وقال أن للشعب البريطاني هدفا واحدا

وهو ((اقامة حكومة فارسية قوية تحمي مصالحنا وتذود عن حدودنا)) (١٦) .

زار كيرزون منطقة الخليج العربي في ١ تشرين الثاني ١٩٠٣) والقى خطبة في مشايخ الساحل العماني وصفها في رسائله لحكومته في لندن بانها زبدة السياسة البريطانية في مياه الخليج العربي وقد اصبحت خطبته اساسا « قويا » سارت عليه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى منتصف الثلاثينات من هذا القرن وتتلخص خطبة كيرزون في :

١ ــ تصوير أن امن الخليج العربي هو انجاز بريطاني ، حسب زعمه ، وان للحكومة البريطانية اتفاقيات مع الشيوخ صارت بها حامية للسلم القبلي واصبحت بها بريطانيا حسب قوله « حاميكم ولاعلاقات لكم بغيرها » .

٢ ــ ابراز الوضع الخاص لبريطانيا الذى اكتسبته بموجب الاتفاقات والتعهدات الخاصة وان الحكومة البريطانية قد دفعت ثمن هذا السلم حسب زعمه ــ من مالها ودمها لن تسمح للشيوخ أن يعكروا صفو الامن بحرا « وبرا » ، لان ذلك يشكل خرقا لالتزامات الاتفاقيات .

٣ ــ ابراز ان القيم البريطاني في الخليج العربي هو الحاكم الفعلي في نطاق الخليج العربي فاذا حدثت مشاكل داخلية فيجد الشيوخ في شخص المقيم البريطاني صديقا ومرشدا يستعمل نفوذه ، كما فعل في الماضي ليشجب الاضطرابات ويثبت الوضع الراهن .

٤ ــ ابراز أن بريطانيا لاتريد التدخل في ظهير الخليج العربي ، الا اذا ارغمت فالحكومة البريطانية لا تتدخل في امر الشيوخ ما قام الشيوخ بحكم رعاياهم بالعدل وماأحترموا حقوق الرعايا البريطانيين المقيمين في المنطقة (١٧) .

والخلاصة فان ابلغ تعبير عن اهمية الخليج العربي في نظر بريطانيا هو تصريح اللورد كيرزون في مجلس اللوردات الذى قال فيه :

((أن منزلتنا في الخليج ... تستند الى حصاتنا التجارية في ربوعه ، الى خدماتنا هناك منذ مائه عام ، الى المال المصروف ، الى المركز البحرى الذى اقمناه ، الى ما نحتفظ من سيطرة سياسية ، والى ماهو فوق ذلك كله من أن الخليج جزء من الحدود البحرية للهند ، وان شؤون الخليج السياسية مرتبطة بأمن ، وسلامة واستقرار الهند ذاتها ...)) (١٨) .

زادت بريطانيا من احكام سيطرتها على الخليج العربي ، فعمدت خلال العقدين الاول والثاني من هذا القرن الى انشاء المراكز والخطوط البريدية في جهات مختلفة من الخليج العربي وتمكنت من احتكار الامتيازات في استخراج اللؤلؤ والاسفنج ، ومن ثم النفط الذى يعد اهم تلك الثروات ، وحصلت في عام ١٩٢٥ على امتياز هام هو امتياز نفط العراق .

ثانيا : المحاولات العثمانية للسيطرة على الخليج العربي :

ازداد الاهتمام العثماني بمنطقة الخليج العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر واتخذ شكلا جديدا منذ عام ١٨٧٠ ، وقد مهدت لذلك عوامل مختلفة تظافرت جميعا على دفع العثمانيين نحو الخليج العربي منها فتح قناة السويس ، مما هيأ للاسطول العثماني فتح خط ملاحي بين البصرة والعاصمة العثمانية ، ومنها تولي مدحت باشا ولاية بغداد (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) وهو من دعاة اصلاح الدولة العثمانية واعادة هيبتها بتأكيد سيطرتها الفعلية على جميع المناطق الخاضعة لها اسميا . وكان مدحت من الد اعداء السياسة البريطانية في العراق والخليج العربي . ويؤمن بأن الوسيلة الناجعة لتعويض الخسائر الاقليمية للعثمانيين في

البلقان هو تأكيد السلطة العثمانية في الولايات العربية التابعة لها وبخاصة في الخليج العربي والبحر الاحمر .

ولتحقيق اهداف هذه السياسة اتبع مدحت سياسة تهدف الى انشاء اسطول عثماني قوى في الخليج العربي، وانشاء خط بواخر بين البصرة والسويس والاستانة . وعمل مدحت على تقوية قبضة الحكومة العثمانية على الامارات العربية في الخليج العربي التي لم ترتبط بعد بالانكليز ليحميها من الوقوع تحت سيطرتهم ، وبدأ نشاطه مع الكويت فقام بانشاء مركز لجباية الضرائب كجزء من خطته لادخال نظم الادارة العثمانية فيها ، ثم اسند منصب القائمقامية الى صباح الثاني ، معفيا اياه من الرسوم والضرائب الكمركية والضرائب الاميرية ، وهدفه من ذلك منع الشيخ من استخدام الاعلام الاجنبية ، ولعل هذه السياسة تجاه الكويت توضح اهمية الكويت لتنفيذ مشروعات مدحت في الخليج، وقد رحب شيخ الكويت من جانبه بالتعاون مع العثمانيين لانه يدرك خطر الانكليز على الاسلام من ناحية ، ولان الاعفاءات الضريبية وتجنب العثمانيين من التدخل في الشؤون الداخلية شجعا شيخ الكويت على التعاون من ناحية اخرى(١٩) .

كان مدحت باشا يدرك خطورة النشاط البريطاني في الخليج العربي والتوجه نحو العراق لذلك حاول العمل على وقف التدخل البريطاني بجميع صوره فأعد لحملة كبيرة لانقاذ اطراف الدولة من الهيمنة البريطانية . ونجح مدحت في كتم اسراره العسكرية بدرجة فذة لم تألفها من قبل ادارات الدولة العثمانية . وقد تحركت الحملة الى نجد في (٢١ نيسان ١٨٧١) من بغداد ، رافقتها دعاية عثمانية لكسب ثقة اهل الاحساء ونجد وحثهم على التعاون مع جيش السلطان . واصدر مدحت اعلانا حدد فيه اهداف الحملة ، وكان الاعلان مليئا بالايات القرآنية والاحاديث

النبوية التي تدعو الى اطاعة اولي الامر وتوحيد كلمة المسلمين ، وزعم الاعلان بأن الدولة العثمانية لم يشغلها عن الاهتمام بأمور نجد سوى مشاغلها الكبيرة ، وهي جادة لتاكيد سلطتها والقضاء على الفوضى والاضطراب .

وضعت الخطة العثمانية على اساس ارسال القوات النظامية بطريق الخليج العربي واما قوات العشائر فتذهب بطريق البر ومعها معظم قوات المشاة النظامية لتلتقي بالقوات الاخرى في الاحساء . وقد اصبحت القوة البحرية تضم الباخرتين العثمانيتين « لبنان والاسكندرية » اللتين عبرتا قناة السويس وباب المندب الى الخليج العربي ، ثم انظمت اليهما الباخرة بروسة وعليها (٢٣) مدفعا ، الى جانب عدد من السفن الصغيرة المسلحة بالمدفعية ،مع بعض السفن الكويتية وقد سارت القوات البرية دون مقاومة تذكر حتى الاحساء وقد نزلت البحرية في رأس التنورة ، واستطاعت المدفعية العثمانية السيطرة بسرعة على الدمام والقطيف واحتلالها في حزيران ١٨٧١ ، فأصبحت الاحساء كلها تحت الاحتلال العثماني(٢٠) .

صاحب الانتصارات العثمانية دعاية واسعة بأن هدف العثمانيين هو تاكيد سيطرتهم على ساحل الاحساء والبحرين وقطر وعمان والبريمي وابو ظبي ودبي والمناطق المجاورة لها واكدت صحيفة الزوراء أن هذه المناطق داخلة ضمن حدود نجد التابعة للدولة العثمانية ،فاحتجت بريطانيا ، طالبت مدحت أن يتجنب الاشتباك مع الامارات والعشائر المتعاهدة مع بريطانيا .

اعترضت الدولة العثمانية على مقاومة بريطانيا لنشاطها الهادف لاستعادة سيطرتها على طول السواحل العربية في البحر الاحمر والبحر العربي والخليج العربي زاعمة أن لا سيطرة لاحد على تلك المناطق سوى

السلطان العثماني ،واكدت بريطانيا انمسقط والبحرين وشيوخ السواحل العربي من رأس الخيمة الى ابي ظبي يدفعون لامير نجد ضرائب سنوية محددة،وهذا يعني الاعتراف بالسيطرة العثمانية على هذه الامارات(٢١) .

استقدمت بريطانيا على عجل عدة بوارج حربية الى الخليج العربي للدفاع عن مصالحها ، ازاء هذا عدل مدحت عن التدخل المباشر في امور البحرين . أما قطر فقد ايد شيخها منذ البداية الحملة العثمانية ، واعلن انضمامه اليها على رأس ثلثمائه رجل ، ورفع فعلا العلم العثماني على البدعة . وحاول مدحت تحريض شيوخ الساحل المتعاهدين مع بريطانيا ، الا أن شيوخ الامارات المتعاهدة لم يلبوا نداء العثمانيين ، ولم يحاول مدحت مواصلة الضغط العسكرى ، وذلك تحت ضغط رجال الاسطول العثماني من جهة ، وبسبب الضعف الذى كان يسرى في القوات العثمانية في الاحساء من جهه اخرى ، ولان السيطرة العثمانية في قطر نفسها كانت مزعزعة(٢٢) .

ويمكن القول أن جهود مدحت في مناطق الخليج العربي ، جاءت بعد فوات الاوان ،وبعد أن وطد الانكليز نفوذهم سياسيا وعسكريا واقتصاديا، ومن ناحية ثانية كانت الدولة العثمانية في وضع يمنعها تماما من أن تجازف في حرب خاسرة من اجل البحرين او مشيخة من مشيخات الخليج العربي . وقد ضاعف من تضاؤل القوة العثمانية عودة مدحت باشا الى العراق ومن ثم مغادرته الى الاستانة في (٢٢ مايس ١٨٧٢) ، ولم يستطع الولاة بعد مدحت أن يتابعوا مجهوداته في الخليج العربي ، رغم أن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) كانت تتصف بالشك والمعارضة للسياسات البريطانية ، وبخاصة بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ ، فحاول العثمانيون انشاء حصن كبير عند الفاو في سنة ١٨٨٣ . ووزع الصدر الاعظم سنة ١٨٨٤ تعميما سريا على المناطق التابعة للدولة العثمانية وفيه نقد شديد للسياسة الخارجية البريطانية .

لقد اتسمت العلاقات العثمانية البريطانية ، خلال العقد الاخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، بانعدام الثقة والتشاحن وواجهت بريطانيا طعنا في مصالحها الاقتصادية والسياسية • ولقد نشطت بالمقابل في استخدام شتى الاساليب لزيادة استغلالها وتطمين مصالحها وتوسيع توغلها ولجأت الى الدبلوماسية والتهديد • وفي حين كان موظفوا حكومة الهند يتصلون بوالي البصرة مباشرة لمتابعة قضايا الخليج وشركة لنج ، كان موظفو وزارة الخارجية البريطانية يتباحثون بهذه الامور مع الباب العالي، وينسقون الجهودفي مسيرة الدبلوماسية البريطانية لاستعمار المنطقة ، وهو ماحصل فعلا •

ثالثا ـ المانيا القيصرية والخليج العربي :

تطورت العلاقات بين المانيا والدولة العثمانية تطورا حسنا بعد سنة ١٨٨٠ فقد طلب السلطان العثماني من بسمارك تجهيزه بضباط المان لتدريب الجيش العثماني ، ولكن بسمارك اعتذر عن قبول هذا الطلب لعوامل سياسية تتعلق بالدرجة الاولى بالعلاقات الالمانية الروسية ، ومع ذلك ظل بسمارك يعد صديقا للدولة العثمانية وحليفا لها في اية حرب تقع بينها وبين روسيا القيصرية • وكان بسمارك يكن احتراما عظيما لشجاعة القوات التركية البرية • وقد قام القائد الالماني ((كولتز Goltz)) باقناع معامل الاسلحة الالمانية بتجهيز الدولة العثمانية بمدافع من طراز كروب لاجل تحصين الدردنيل ، وكذلك تجهيز البحرية العثمانية بعدد من قوارب الطوربيد وبنادق من طراز Mauser لاعادة تسليح الجيش العثماني • وكانت هذه الخطوة بالذات عاملا جديدا

في سير العلاقات الدولية بالنسبة للعثمانيين ، فقد قام كولتز بتهيئة الجو المناسب للنشاط الاقتصادى الالماني في اسيا الصغرى . قامت الشركات الالمانية بارسال البعوث الاقتصادية الى الدولة العثمانية ، فوصلت البعثة الالمانية الى لبنان في سنة ١٨٨١ لغرض جمع المعلومات الاقتصادية ، ووصل عدد من الرحالة الالمان الى ممتلكات الدولة العثمانية، الامر الذى ادى الى ازدهار التجارة الالمانية ونجاح الصناعات الالمانية في الاسواق العثمانية .

ادى مجيء القيصر وليم الثاني الى العرش الالماني ، في سنة ١٨٨٨ ، الى تطور سريع في العلاقات الالمانية العثمانية ، فقد اختط القيصر سياسة جديدة لبلاده ، وتعد سنة ١٨٩٠ بداية للسياسة الالمانية المسماة ((بالسياسة العالمية World Politics)) التي من اهم مميزاتها اشتداد النزعة الاستعمارية واستثمار رؤوس الاموال، فوقع البنك الالماني Deutseh Bank ، في (٤ تشرين الاول ١٨٨٨) على الاتفاقية النهائية لمد سكة حديد حيدر باشا بمسافة (٤٨٥) ميلا الى انقرة . وقام القيصر بزيارتين للدولة العثمانية في سنتي ١٨٨٩ و ١٨٩٨ ، وكان لزيارة القيصر الثانية اهمية خاصة،فقد عبر القيصرعن صداقته للسلطان وشعبه ، كما جاء في خطاب له بدمشق ، وفتحت امام الالمان افاقا اقتصادية كبيرة(٢٣) .

صاحب تطور المصالح الالمانية في الدولة العثمانية توجه الالمان نحو الخليج العربي ، وكان اول ظهور للالمان في الخليج يرجع الى سنة ١٨٩٧ حيث عين الالمان نائب قنصل لهم في بوشهر . وفي العام نفسه اسس روبرت فونكهاوس مقرا لشركة في لنجة على الساحل الشرقي من الخليج العربي ، فكان ذلك الخطوة التجارية الالمانية الاولى ، وبعد

ذلك اتسع نطاق وعمل الشركة فصار لها فرع في البحرين في ١٩٠١ ، وبوشهر في ١٩٠٤ ، والبصرة والمحمرة وبندر عباس في ١٩٠٦ . وعلى الرغم من أن الشركة ذات صفة شخصية عند تأسيسها ، لكن كان للحكومة الالمانية ضلع في نشاطها ، ولاسيما في تجارة الاسلحة .

اثار النشاط التجارى الالماني قلق بريطانيا ، وبلغت المنافسة التجارية لبريطانيافي مياه الخليج حدا خطرا منذ سنة ١٩٠٦، وذلك حينما اسس الالمان خطهم البحرى المعروف بخط همبورك – امريكا(٢٤) ، الذى اصبحت شركة فونكهاوس وكيلة له في الخليج ، وقد ادى ذلك الى زيادة التجارة الالمانية بنسبة ١٠٠٪ . واصبحت انتورب Antwerb، في بلجيكا ، وهمبورك في المانيا ، مصدرا لكثير من التجارة بدلا من بريطانيا . واتسعت المنافسة الالمانية ، في الخليج العربي ، لبريطانيا لتشمل ميادين الاستيراد والتصدير والنقل البحرى . وقد استخدمت شتى الوسائل بقصد السيطرة اولا والربح ثانيا . وقد ادى اندلاع الحرب العالمية الاولى الى انقاذ المركز التجارى البريطاني من أن يفقد اولويته للالمان .

وكان النشاط الالماني الاخر الذى اثار المنافسة الدولية في منطقة الخليج العربي ، هو حصول المانيا على امتياز سكة حديد بغداد في سنة ١٨٩٨ ، وقد تمت موافقة السلطان عبد الحميد الثاني ، في اليوم السابع من شهر أذار ١٩٠٢ . ولاسباب مالية رأت الشركة الالمانية أن تشرك اموال اخرى غير المانية كي توفر المال اللازم . فعدل الامتياز على هذا الاساس واستقر ، في اليوم الخامس من أذار ١٩٠٣ . واحتوى امتياز السكة ،على أن يمد خط حديدى بين قونية في أسيا الصغرى والبصرة، ويمد منه فرع الى الخليج العربي عند نقطة تحدد بعد ذلك ، وللشركة الالمانية الحق في التنقيب واستخراج المعادن الموجودة في المنطقة، على جانبي

السكة المقترحة ولمدى عشرين كيلومترا؛ ولهاأن تستخدم الرافدين ملاحيا بقدر تعلق الامر بعملها • ونص الامتياز على تكوين شركة جديدة مساهمة لادارة المشروع مستقلة عن شركة سكة حديد الاناضول (الالمانية)• وقد اسست الشركة فعلا ، في اليوم الثالث عشر من شهر نيسان سنة ١٩٠٣ •

قوبل مشروع السكة بردود فعل مختلفة من الدول الكبرى ، التي كانت تتنافس في المنطقة (بريطانيا ، فرنسا ، المانيا ، وروسيا القيصرية) • وقد نظرت بريطانيا الى المشروع بأن هدفه نسف المصالح البريطانية في شرق البحر المتوسط ومصر والعراق والهند ، وان يكون اداة لضمان اسواق للصناعات الالمانية المتزايدة • وكان اللورد كيرزون ،نائب الملك في الهند ، يعتقد بان اى مشروع لبناء سكة حديد برلين ــ بغداد يستهدف السيطرة على ميناء الكويت المهم الواقع الى الشمال الغربي من الخليج ، ولهذا سارعت بريطانيا الى عقد معاهدة مع قائمقام الكويت عام ١٨٩٩ ، وبخاصة بعد تقديم مشروع روسي لمد خط حديدى بين طرابلس على البحر المتوسط واخد موانىء الخليج العربي في السنة السابقة ونصت على عدم منح حاكم الكويت وأبنائه وخلفائه من بعده ، حق الاقامة للممثلين الاجانب بدون موافقة مسبقة من قبل بريطانيا ، ولايحق له التصرف بأراضيه بأى شكل من الاشكال لصالح دولة اخرى بدون اذنمن بريطانيا • وقد هدف حاكم الكويت من توقيع المعاهدة الى تحويل خطوط الملاحة البريطانية من البصرة الى الكويت ، الامر الذى ساعد على الانتعاش الاقتصادى في امارته • أما بالنسبة لبريطانيا فقد اصبحت لهذه المعاهدة اهمية استراتيجية واقتصادية ، وبخاصة بعدما قررت المانيا ، بأن الكويت هي النهاية الملائمة للخط الحديدى(٢٥) •

بهضبة الأناضول من اختصاص فرنسا ، وكذلك فرع الخط الحديدي إلى الإسكندرونة وشمال سوريا.
وعملت الدولة العثمانية على تهيئة الظروف المناسبة لإنهاء المعارضة البريطانية ، فاستحصلت موافقة ألمانيا في عام 1909 على تعديل بعض نصوص امتياز السكة لسنة 1903 ، بقصد فصل الجزء الواقع بين بغداد والبصرة كي يستطيعوا المساومة مع البريطانيين ، فعدلوا نصوص مشروع السكة مع الألمان في آذار 1911 الذين تنازلوا عن مد الخط بين بغداد والبصرة ، وكذلك عن بناء ميناء في البصرة ، فأبلغت الحكومة البريطانية ، الجانب العثماني ، أن كافة المصالح البريطانية يجب أن تضمن بشكل كاف ، وعدم محاباة دولة على حساب دولة أخرى ، وأن يكون لبريطانيا ممثلان في هيأة شركة سكة حديد برلين – بغداد، وأن نهاية الخط تكون عند البصرة ، وأن لا يمد خط أبعد من البصرة باتجاه الخليج بدون اتفاقية مسبقة مع الإنكليز.
تم الاتفاق بين الدولة العثمانية وبريطانيا حول سكة حديد بغداد في أب 1913 ، وتعهدت الدولة العثمانية في الاتفاق بعدم التمييز بالنسبة للتجارة المحمولة بالسكك الحديدية وتعين عضوين بريطانيين في مجلس إدارة شركة سكة حديد برلين بغداد ، وعدت البصرة هي نقطة الانتهاء بالنسبة للخط ، ولا يجوز تمديده جنوباً إلا بموافقة بريطانيا ، ونتيجة لهذا الاتفاق توصلت بريطانيا مع ألمانيا إلى اتفاق في حزيران 1914 ، تعهدت فيه بعدم وضع العراقيل أمام مشروع سكة الحديد ، ولكنها اتفقت مع ألمانيا على عدم البدء في إنشاء الفرع بين بغداد والخليج العربي إلا بعد اتفاق شامل تشارك في حكومات بريطانية وألمانية والدولة العثمانية، وذلك محاولة من بريطانيا في إضاعة الوقت وعدم السماح لألمانيا في الوصول إلى الخليج العربي ، غير أن قيام الحرب العالمية الأولى أوقف تنفيذ المشروع ، وأوقف كل أمل ألماني في الهيمنة والتحدي لمنطقة الخليج العربي.
ثالثاً: روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي والخليج العربي:
يمكن القول بأن المصالح الروسية في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي قديمة ، وترجع إلى القرن السادس عشر ، حينما أبدى القيصر الروسي رغبته بالإتصال بالهند تجارياً عبر جنوب شرقي بلاده ، إلا أن هذه الرغبة لم تتحقق ، وفي عهد بطرس الكبير ، خلال القرن الثالث عشر ، جرت مثل هذه المحاولة ، وحدثت بعض الأعمال الحربية عندما قام الروس باحتلال عدد من المدن والمناطق الواقعة شمال بلاد فارس ، وراجت فكرة غزو الهند في عهد القيصرة كاترين الثانية ونفذت هذه الفكرة في عهد القيصر بولص الأول عام 1801 وكان نتيجتها الإخفاق ، وتواصل النشاط الروسي في عهد الاسكندر الذي أحرز انتصارات مهمة على فارس عام 1813 ، ومن ثم عقد معاهدة (كولستان) في العام نفسه ، تلك المعاهدة التي كانت فاتحة النفوذ الروسي في بلاد فارس.
لم تنظر بريطانيا إلى تزايد النشاط الروسي ، نظرة معارضة ، وبخاصة وأن الدولتين كانتا تخوضان صراعاً مشتركاً ضد نابليون وازدياد المصالح الروسية في بلاد فارس بعد توقيع معاهدة (تركمان جاي) عام 1828 التي خسرت فيها فارس أقاليم جديدة وفرضت عليها غرامات حربية، أدى إلى ظهور المقاومة البريطانية لتزايد التدخل الروسي وبخاصة بعد توجيه روسيا كل اهتمامها نحو فارس ، بعد معاهدة برلين ، وحصولها على امتيازات واسعة ، منها امتياز مد لسكة الحديد في شمال فارس ، وفتح مصرف روسي يهدف في عمله لأغراض سياسية دون أن يكترث بالخسائر المادية ، وقام المصرف بمنح القروض للفرس بفوائد بسيطة.
أثار ازدياد النشاط الروسي واحتمال تقدمهم نحو الخليج العربي رجال الاستعمار البريطاني وأكد اللورد نورث بروك NORTH BROOK على هذه النقطة في رسالة كتبها من الهند في (20 آذار 1876) إلى وزارة الخارجية البريطانية ، وجاء فيها:
(يجب أن نعتبر أي امتداد للمناطق الروسية صوب الخليج العربي أو أية حماية روسية لسواحل ذلك الخليج خطراً مباشراً على الهند ، وهذا بحد ذاته كاف
- حسب ما اعتقد – لأجل استعمال القوة للمحافظة على سيادتنا الحالية في الخليج).
وقد شغلت فكرة الزحف الروسي على الخليج العربي ، واحتمال تمركزها في موانئه أذهان كبار الساسة البريطانيين ورجال الجيش والبحرية ، وذلك بعد أن أصبح الهدف الأساس للقياصرة الروس ، في نهاية القرن التاسع عشر الحصول على مرفأ على الخليج العربي يؤدي إلى مياه المحيط الهندي الدافئة ، ووقف اللورد كيرزون ، الذي عين نائباً للملك البريطاني في الهند عام 1898 ، ضد مشاريع روسيا في فارس ، لأن أهداف السياسية الروسية –حسب رأيه- وهي وضع نهاية لإمبراطورية بريطانيا ، ويستطرد كيرزون فيقول أنه لا يرى هدفاً غير هذا في نظام حكومة لا يقوم على حرية التصرف أو الفكر والتخطيط ، وأضاف أن الحكومة الروسية تتحرك بأمر الجنرالات ، كما دعا كيرزون رجال حكومته إلى الحفاظ على مركز بريطانيا الاستعماري في الخليج العربي وحذر قائلاً:
(أنني سأعتبر أي امتياز لمرفأ يعطى إلى روسيا في الخليج العربي من قبل أي قوة إهانة متعمدة موجهة إلى بريطانيا العظمى ، واعتبر ذلك خرقاً للوضع الراهن واستفزازاً دولياً للحرب ، واعتبر أي وزير بريطاني يقبل التخلي لروسيا عن ميناء على ساحل الخليج العربي بأنه خائن لوطنه) .
وزادت الخشية البريطانية من النشاط الروسي ، بعد ظهور المشروع الروسي لمد سكة حديد بين الساحل السوري والكويت ، وساهم الخبير البحري الأمريكي (ماهان) في تصعيد القلق والخوف من الخطر الروسي ، ففي كتابه (مشكلة أسيا وتأثيرها على السياسة الدولية) حذر بريطانيا من التقليل من أهمية الخطر الروسي على إيران والخليج العربي ، وقال إن مجرد سيادة روسيا على إيران وأفغانستان سيجعلها تسيطر على أهم طريق تجاري وحربي للإمبراطورية البريطانية.
أما في كتابه (نظرة إلى الماضي والمستقبل) في العلاقات الدولية المطبوع في عام 1902 فقد قال:
(أن أي تنازل من جانب ببريطانيا في الخليج العربي ، سواء أكان ذلك حسب اتفاق رسمي معين ، أم كان مجرد إهمال لتجارتها المحلية .. يعرض للخطر مكانة بريطانية البحرية في الشرق الأقصى ، ومركزها السياسي في الهند، ومصالحها التجارية في كليهما ، وكذلك الروابط الإمبراطورية بينها وبين استراليا) .
أما الحكومة الروسية فقد استمرت في سياستها إزاء فارس ، التي نظرت إليها بأنها قناة السويس الروسية ، وسعت في الوقت ذاته إلى زيادة نشاطها السياسي والتجاري في منطقة الخليج العربي ، فأرسلت إحدى بواخرها إلى الخليج العربي عام 1893 ، ورست الباخرة في مسقط واتصل ضباطها سراً مع فيصل بن تركي ، سلطان مسقط ، وفاوضوه في عقد اتفاقية سياسية مع الحكومة الروسية تكون أكثر ملائمة من الاتفاقيات المعقودة بينه وبين الحكومة البريطانية لكنه رفض ذلك لخشيته من بريطانيا وقد قامت الحكومة الروسية بتعيين ممثلاً سياسياً لها في بوشهر ، وزوته بأوامر مشددة لبذل كل طاقته من أجل الارتباط مع الأمراء العرب في المنطقة ، وبخاصة من لم يدخل منهم في

معاهدة مع بريطانيا.

إلى الخليج العربي ، وعلى Giagakوسيراً على هذه السياسة أرسلت الحكومة الروسية في آذار 1900 الطراد (الزورق البحري) جليك متنه القنصل الروسي في الخليج ، وصرح قائد الطراد بأنه لا ينوي احتلال أي ميناء في الخليج، وهدفه فتح خط بحري للبواخر بين الموانئ الروسية والخليج العربي ، وتأسيس مصرف روسي في أحد موانئه ، وتأسيس محطة فحم في بوشهر ، وإبقاء طراد روسي بصورة دائمة في مياه الخليج العربي على أن يكون ميناء بندر عباس مقراً له ، واتصل الروس في التعاون مع روسيا ، لكن أولئك الأمراء رفضوا الدخول في أي علاقات في عام 1902 ببعض الأمراء العرب في الخليج ، وحاولوا إقناعهم بأهمية حكومة القيصر.

أثار النشاط الروسي وبخاصة محاولة الروس إيجاد مقر لهم في بندر عباس ، الساسة البريطانيون الذين عارضوا ذلك بشدة ، وقال أحدهم (إذا ما سمحنا للروس بالتمركز في بندر عباس فأننا نكون قد تنازلنا عن جميع مركزنا في الخليج العربي دفعة واحدة .. أن بندر عباس هو ميناء بريطاني منذ أيام شركة الهند الشرقية) ، الأمر الذي صعد من التنافس والصدام بين الدولتين ، واضطرت روسيا إلى مساومة بريطانيا والتوصل إلى تسوية بينها في اتفاق (31 أب 1907) الذي تم بموجبه تسوية جميع الخلافات الرئيسية في الخليج العربي ، وقسمت إيران بموجبه إلى ثلاث مناطق ، شمالية تحت النفوذ الروسي ، والجنوبية تحت النفوذ البريطاني ، أما المنطقة الوسطى فقد جعلت منطقة حيادية ، وبموجب الاتفاق اعترفت روسيا بمنطقة الخليج العربي منطقة نفوذ بريطانية بلا نزاع ، واعترفت بالأفضلية البريطانية في جنوب إيران وإمارة الأحواز العربية، وبذلك تخلصت بريطانيا من مزاحمة الروس لها في الخليج العربي ، ومع ذلك تعرض الاتفاق للنقد من قبل بعض الإنكليز الذين اعتقدوا إن بريطانيا لن تستفيد منه شيئاً ، لأن منطقة النفوذ الروسي تشمل كرمنشاه وأصفهان ، وحتى العاصمة الإيرانية ، وفي هذه المنطقة أغلب مصادر الثورة ، في حين إن منطقة النفوذ البريطاني لم تكن غير مثلث صغير المساحة يقع على الخليج العربي.

وخلال الحرب العالمية الأولى (1914) انضمت روسيا إلى جبهة بريطانيا وفرنسا ، وخلال الحرب قامت ثورة أكتوبر الروسية عام 1917 وأعلن عن تأسيس الاتحاد السوفيتي ، وتبع ذلك تغييرات سياسية كبيرة ، ولم تظهر روسيا السوفيتية على مسرح السياسة في الشرق الأوسط عامة ، والخليج العربي خاصة ، مظهر روسية القيصرية ، فقد تغيرت الأساليب والوسائل للسياسة الجديدة ، كما وقررت الدعوة إلى عقد مؤتمر لشعوب الشرق في باكو –عاصمة أذربيجان السوفيتية- استمر من (8-1 أيلول 1920) ، وكان ذلك بداية توجه الأممية الشيوعية نحو المنطقة.

حاولت روسيا السوفيتية إقامة حكومة شيوعية في شمال إيران ، وعندما فشلت عقدت الحكومة السوفيتية معاهدة مع إيران عام 1921 ، التي عدت تطوراً في العلاقات الإيرانية – السوفيتية ، ولم يكن للحكومة السوفيتية علاقات دبلوماسية مع الأقطار العربية ، عدا المملكة العربية السعودية واليمن ، وحتى في هاتين المملكتين أغلقت المفاوضات الروسية أبوابها عام 1938 ولم تظهر رغبة الاتحاد السوفيتي في الحصول على نفوذ في منطقة الخليج العربي إلا في فترة 1939-1941 حين أصر مولوتوف ، وزير الخارجية السوفيتي ، في محادثاته مع ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا النازية ، على أن تكون جميع المناطق إلى الجنوب من باكو في تجاه الخليج العربي مناطق نفوذ روسية ولكن تغير مجريات السياسة الدولية ، وإعلان هتلر الحرب على الاتحاد السوفيتي ، ترك موضوع الخليج العربي وثيقة تاريخية فقط.

رابعاً: الولايات المتحدة الأمريكية والخليج العربي:

تعود بداية العلاقات الأمريكية مع الخليج العربي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وكان النشاط التجاري أبرز ما يميز المصالح في عقد معاهدة تجارية مع سلطان عمان ROBERTSالأمريكية خلال القرن التاسع عشر ، وقد نجح التاجر الأمريكي أدموند روبرتس السيد سعيد بن سلطان في (21 أيلول 1833) وقد سمح السلطان سعيد للأمريكيين بالاتجار في الموانئ التابعة له ، وتعين قناصل أمريكان في مسقط والممتلكات العمانية الأخرى في زنجبار وشرقي أفريقيا.

أضعفت الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865) النشاط التجاري الأمريكي في منطقة الخليج العربي ، ولم يظهر النشاط الأمريكي مرة بزيارة شاملة إلى الخليج العربي SHUNELDTأخرى في مياه الخليج إلا في سنة 1879 عندما قام القائد البحري روبرت ولسن شونلدت شملت مسقط وموانئ الخليج العربي ثم شط العرب والفرات ، وقد أعقب هذه الزيارة ازدياد النشاط الأمريكي ، وقيام الحكومة الأمريكية بتعيين قناصل ونواب قناصل أمريكان في ولاية بغداد ، بعد أن كانت القنصلية البريطانية تتولى الإشراف على الرعايا الأمريكان في العراق بصفة غير رسمية، إما المصالح التجارية الأمريكية في العراق فكانت ضئيلة بوجه عام واقتصرت على استيراد المنتوجات العراقية كعرق السوس والمصارين والصوف ، في حين كان النفط يمثل النسبة الكبيرة من حجم الصادرات الأمريكية للعراق إلى جانب منتوجات صناعية أخرى.

وقبيل انتهاء القرن التاسع عشر حظيت منطقة الخليج العربي باهتمام مباشر من المبشرين الأمريكان ، ففي ثمانينات القرن الماضي ظهر النشاط التبشيري في شمال العراق ، وأسس المبشرون الأمريكيون أول مركز تبشيري لهم في مدينة الموصل وفي عام 1889 أسست لغرض نشر المسيحية في الجزيرة العربية والخليج العربي ، بعد دراسة أولية للغة العربية ARABIAN MISSLONالإرسالية العربية في سوريا ، واستطاعت هذه البعثة تأسيس أول مركز تبشيري لها في البصرة عام 1891 ومن مركزها في البصرة وسعت نشاطها إلى مناطق الخليج العربي ، كالبحرين ومسقط والكويت والاحساء والقطيف وساحل عمان.

وازداد النشاط التبشيري مع بداية القرن العشرين ، وبدأ يرافقه نشاط في المجالات التعليمية والطبية ، أسس المبشرون في عام 1910 مدرسة الرجاء العالي والمدرسة الأمريكية للبنات ، كما قاموا بفتح العديد من المستشفيات لأغراض العلاج الطبي ، فافتتح مركز طبي في عام 1910 ، وقام الأطباء التابعون للبعثات التبشيرية بزيارة إلى الرياض لمعالجة عبد العزيز آل سعود وأفراد عائلته ، وقاموا بزيارات إلى مناطق أخرى من الجزيرة والخليج العربي.

لقد جاء النشاط التبشيري متمشياً مع متطلبات المصالح الأمريكية المتنامية في الخليج العربي ، وكان خطوة تمهيدية لدعم هذه المصالح وما يعقبها من نفوذ سياسي أمريكي في المنطقة ، وليس ثمة شك في أن مثل هذا الهدف لا يمكن تحقيقه دون توثيق أواصر العلاقة مع سكان المنطقة وإبراز الوجه المشرق للتبشير، من خلال الخدمات الطبية والتعليمية التي كانت تقوم بتقديمها البعثات التبشيرية للسكان مستغلة بذلك تخلف المنطقة عما وصل إليه المجتمع الغربي من تقدم ، ولا تتوقف المهمة التبشيرية عند هذا الحد ، بل تولى بعض المبشرين بنفسه مهمة الوكيل عن مصالح بلاده ، فقد استطاع أحد الأطباء المرافقين للبعثة التبشيرية الأمريكية في البحرين من الحصول على امتياز نفط قطر لشركة ستاندار أويل كومبني أوف كاليفورنيا.